أثر اصول الفقه المقارن في التقريب بين المذاهب الاسلامية / جهود العلامة الحلي انموذجاً

أ.م.د. جبار محارب عبد الله الفريجي
جامعة الكوفة - كلية التربية الاساسية
jabbarm.alfraiji@uokufa.edu.iq

ملخص:

إنّ العلاقة بين علماء الشيعة والسنة كانت وطيدة وراسخة عبر القرون، ولم تمنع الاختلافات الفكرية على مستوى الاصول والفروع بينهم من حصول الزمالة والتلمذ والتواصل العلمي في مجالات العلم والفكر والأدب، ويعود السبب في ذلك الى وجود مشتركات كثيرة بينهم، فكان العمل على ضوئها موجباً لنشر الثقافة الاسلامية وإرساء دعائمها. ويحدثنا التأريخ عن تبادل الحديث والبحث والتحقيق بينهم وتتلمذ لفيف من علماء السنة لدى الشيعة وبالعكس في شتى مجالات المعارف والعلوم الاسلامية، الأمر الذي كان عاملاً من عوامل التقريب بين المذاهب الاسلامية.

ومن العلوم التي كان التواصل بين علماء الشيعة والسنة فيها، والتي كان لها أثرها في التقريب بين المذاهب الاسلامية، هو اصول الفقه المقارن، باعتبار أنّ الاختلاف في مسائل وقواعد اصول الفقه هو الاساس في جلّ الاختلافات في الفتاوى، والاختلاف في اصول الفقه يقع بين المجتهدين في مرحلتين:

المرحلة الأولى: في تكوين النظريات العامّة والقواعد المشتركة للتفكير الفقهي، وبعبارة اخرى: الخلاف

في الاصول والمباني العامّة المعتمدة في الاستنباط الاجتهادي، كالخلاف في حجّية القياس أو العقل أو الاستصحاب.

المرحلة الثانية: في مجال تطبيق تلك القواعد والنظريات العامّة على صغرياتها وموارداها الخاصّة، وبعبارة اخرى: الخلاف في تعيين مصاديق تلك الكبريات وموارد انطباقها.

إنّ سلوك منهج المقارنة في البحث يؤدي دون شكّ الى تحديد موارد الاختلاف والاشتراك، ويكشف في نفس الوقت عن الوفاق الفكري الاسلامي والمبادئ المشتركة، ومن الواضح أنّ دراسة الرؤى المختلفة يصير سبباً لحسن التفاهم والتقارب.

وعليه فليس المقصود من التقريب أنْ يتحول السني الى شيعي أو بالعكس، وإنّما يعني التقريب إزالة التشنج الناتج عن الخلافات التاريخية والعقائدية والفقهية أوّلاً، وعرض المسائل العلمية الخلافية على بساط البحث العلمي الموضوعي النزيه ثانياً، والبحث عن المفاهيم والتصورات والأحكام والقواعد والأصول الفقهية والأحاديث المشتركة، لكي تكون قاعدة لالتقاء المسلمين على ارضية واحدة ثالثاً، والسعي الجاد لتوحيد الموقف السياسي من القضايا الإسلامية الأساسية رابعاً.

وكان من رواد هذا الحقل المعرفي هو العلامة الحلي، ت:٧٢٦هـ، فكان من فرسان هذا الميدان، وترك لنا كتابات مهمة في هذا المجال، فضلاً عن جهوده الاخرى في مجال المناظرة والرسائل والتلمذة.

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى وآله الطيبين الطاهرين.

إنّ العلاقة بين علماء الشيعة والسنة كانت وطيدة وراسخة عبر القرون، ولم تمنع الاختلافات الفكرية على مستوى الاصول والفروع بينهم من حصول الزمالة والتلمذ والتواصل العلمي في مجالات العلم والفكر والأدب، ويعود السبب في ذلك الى وجود مشتركات كثيرة بينهم، فكان العمل على ضوئها موجباً لنشر الثقافة الاسلامية وإرساء دعائمها.

ويحدثنا التأريخ عن تبادل الحديث والبحث والتحقيق بينهم وتتلمذ لفيف من علماء السنة لدى الشيعة وبالعكس في شتى مجالات المعارف والعلوم الاسلامية، الأمر الذي كان عاملاً من عوامل التقريب بين المذاهب الاسلامية.

ومن العلوم التي كان التواصل بين علماء الشيعة والسنة فيها، والتي كان لها أثرها في التقريب بين المذاهب الاسلامية، هو اصول الفقه المقارن، وكان من رواد هذا الحقل المعرفي هو العلامة الحلي، ت:٧٢٦هـ، فكان من فرسان هذا الميدان، وترك لنا كتابات مهمة في هذا المجال، فضلاً عن جهوده الاخرى في مجال المناظرة والرسائل والتلمذة.

وفي هذا البحث سوف نسلّط الاضواء على اصول الفقه المقارن وجهود العلامة الحلي في هذا الحقل المعرفي، لاجل التقريب بين المذاهب الاسلامية.

وقد انتظم البحث في هذا الموضوع في ثلاثة مباحث:

الأوّل: تحديد موضوع البحث، وقد اشتمل على مطلبين، احدهما في بيان المراد من اصول الفقه المقارن، ومنهج البحث فيه، وموضوعه، والثاني في المراد من التقريب بين المذاهب الاسلامية.

المبحث الثاني: في سيرة العلامة الحلي.

المبحث الثالث: جهود العلامة الحلي في التقريب بين المذاهب الاسلامية من خلال التواصل المعرفي في مجال اصول الفقه المقارن.

المبحث الأوّل

تحديد موضوع البحث

والحديث في هذا المبحث يقع تارةً بلحاظ تحديد بعض المفردات، وبيان موضوع اصول الفقه المقارن والغاية منه، واخرى بلحاظ توضيح فكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية، وأثر علم اصول الفقه المقارن فيها، وعلى هذا الاساس فاستيفاء الحديث عن ذلك يقع في مطلبين:

المطلب الأوّل

في تحديد اصول الفقه المقارن

ينبغي علينا أنْ نحدد مدلول مفردات هذا التركيب الاضافي (أصول،

الفقه، المقارن) ليسهل الانطلاق من هذا التحديد إلى التماس تعريفه تعريفاً مستوفياً للشرائط المنطقية من حيث كونه جامعاً مانعاً.

١ـ تعريف كلمة الاصول لغة و اصطلاحاً:

الاصل لغة: الأصول جمع (أصل)، والأصل في اللُّغة: أسفل الشيء، واساس الحائط اصله، واستأصل الشيء: ثبت اصله وقوِيَ ثم كَثُرَ، حتى قيل: اصل كلّ شيءٍ ما يستند وجود ذلك الشيء إليه، فالاب اصل للولد، والنهر اصل للجدول[١].

والأصل في عُرف العُلماء ولا سيّما الأُصوليين منهم والفُقهاء يُستعمل في عِدَّة معانٍ، منها:

أ) الاصل بمعنى الراجح، كقولهم: الأصل في الكلام الحقيقة، أيّ حينما يتردَّد الأمر بين حمل الكلام على الحقيقة وحمله على المجاز، فالحمل على الحقيقة هُو الراجح.

ب) الاصل بمعنى ما يتفرّع عليه غيره، كقولهم: حكم الخمر أصل لحكم النبيذ، أيّ أنَّ حكم النبيذ مِنْ حيث حُرمة شُربه أو نجاسته ـ بناءً على القول بهما ـ مُستفاد مِنْ حكم الخمر.

ج) الاصل بمعنى القاعدة الكلية، كما فيما يُقَال في علم النحو مثلاً: الأصل في الفاعل أنْ يكون مرفوعاً؛ أيّ القاعدة العامّة في إعرابه أنْ يكون كذلك.

د) الاصل بمعنى الدَّليل، كقولهم: الأصل في هذهِ المسألة هُو الإجماع، أيّ الكاشف عَنْ حكم هذهِ المسألة والمُرشد إليه والدالّ عليه هُو الإجماع.

هـ) ما يثبت وظيفة عملية عِنْدَ الجهل بالحكم، كالبراءة والاستصحاب، فيُقَال: الأصل براءة الذِّمة مِنْ التكليف ما لمْ يدلُّ عليه دليل...[٢].

ولدى التأمُّل في هذهِ المعاني يمكن أنْ يقال إنّها بأجمعها مصاديق لمفهوم واحد، وهو: (ما يبتني عليه غيره ويرتكز)، فالمجاز يبتني على الحقيقة، وحكم النبيذ يُقاس ويرتكز على حكم الخمر، وحكم المسألة المُعيَّنة يبتني على الإجماع، وهكذا في جميع المعاني التي تُذكر للأصل تحت عنوان معانٍ اصطلاحية مُغايرة

للمعنى اللغوي، فهي لا تخرج عن إطار المعنى اللغوي لكلمة (اصل).

وأمّا بناءً على القول بتعدّد هذهِ المعاني فالأنسب منها لعلم الأُصول هو المعنى الثالث (القاعدة)؛ لأنَّ علم الأُصول هُو مجموعة قواعد يبتني عليها استنباط الأحكام الشرعية، فتسمية هذا العلم باصول الفقه نشأت من المعنى اللغوي.

٢ـ تعريف كلمة الفقه لغة و ا صطلا حاً :

الفقه لغة: وهو بكسر الفاء: العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة[٣]، والفقه: فهم الشيء، وكلّ علمٍ فهو فقه، والفقه على لسان حملة الشرع: علم خاصّ[٤].

الفقه اصطلاحاً: «العلم بالأحكام الشرعية الفرعيّة عَنْ أدلّتها التفصيلية»[٥]، وتوسَّع بعضهم في تعريفه بأنّه «مجموع الاحكام الشرعية الفرعية الكلية أو الوظائف المجعولة من قبل الشارع، أو العقل عند عدمها»[٦].

٣ـ الفقه المقارن:

يطلق الفقه المقارن على «جمع الآراء الفقهية المختلفة وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها وترجيح بعضها على بعض»[٧].

ومن خلال عرض هذه المفردات يتضح تعريف (اصول الفقه المقارن)، فـ«هو القواعد التي يرتكز عليها قياس استنباط الفقهاء للأحكام الشرعية الفرعية الكلية، أو الوظائف المجعولة من قبل الشارع أو العقل عند اليأس من تحصيلها من حيث الموازنة والتقييم»[٨]، أو «هو القواعد التي تقع في طريق استنباط الأحكام الشرعية الفرعية الكلية أو الوظيفة العملية من حيث المقارنة بين الآراء المذهبية المختلفة مع ترجيح أقربها الى الحجّية وأقواها دليلاً على غيره»[٩].

الغاية من أصول الفقه المقارن:

إنّ الغاية من أصول الفقه المقارن هي الفصل بين آراء المجتهدين بتقديم أمثلها وأقربها إلى الدليلية، وربما كانت رتبة الاصولي المقارن متأخرة عن رتبة الباحث في الاصول، لانّ الفصل بين الآراء لا يكون إلا بعد تحصيل القدرة على معرفة الامثل من الادلة، وهي لا تكون إلا للمجتهدين عادة في

الاصـــول[١٠].

موضوع أصول الفقه المقارن:

هـــو كلّ مـــا يصلـــح للدليليـــة مـــن أدلتـه، وحـصره إنّـما يكـون بالاسـتقراء والتتبـــع، ولا معنـــى لتخصيصـــه بالادلـــة الاربعـــة لا بـــما هـــي أدلـــة كـــما ذهـــب إلى ذلـــك المحقـــق القمـــي، ولا بـــما هـــي هـــي كـــما ذهـــب إليـــه صاحـــب الفصـــول، لـــيرد عليهـــما خـــروج كثـير مـن المباحـث الاصوليـة، أمثـال الاسـتصحاب والقيـاس وخـبر الواحـــد، لبداهـــة أنّهـــا ليســـت مـــن الكتـاب أو السـنة أو الاجمـاع، أو دليـل العقـــل وإنْ كانـــت أدلـــة حجيتهـــا ممـــا ترجـــع إليهـــا[١١].

الفارق بينه وبين أصول الفقه:

عـــلى الرغـــم مـــن أنّ طبيعـــة مســـائل العلمـين متحـدة كـما يـدل عـلى ذلـك تقـارب تعريفيهـما إلا أنّ هنـاك فـوارق بينـه وبـين أصـول الفقـه، وهـي:

١ـ منهـــج البحـــث، فـــإنّ البحـــث لا يكـــون مقارنـــاً فيـــما إذا كان المعتمـــد هـــو آراء مذهـــب خـــاصّ في البحـــث والتدويـــن، أمّـــا إذا لم يعتمـــد مذهـــب محـــدد بـــل يضمّـــن مجمـــل المذاهـــب في البحـــث والدراســـة فيكـــون مقارنـــاً.

وبعبـارة اخـرى: إنّ مهمـة الاصـولي أنْ يلتمـس مـا يصلـح أنْ يكـون قاعـدة لقيـاس الاسـتنباط، ثـمّ يلتمـس البراهـين عليهـا، أمّـا مهمـة القـارن في الاصـول فهـي أنْ يضـم إلى ذلـك اسـتعراض آراء الآخريـن، ويـوازن بينهـا عـلى أسـاس مـن القـرب مـن الادلـة والبعـد عنهـا.

٢ـ غايـة البحـث، فـإنّ الغايـة مـن علـم الاصـول تحصيـل القـدرة عـلى اسـتنباط الاحـكام الشرعيـة مـن أدلتهـا التفصيليـة، أمّـا غايـة علـم الاصـول المقـارن فهـي الفصـل بـين آراء المجتهديـن بتقديـم أمثلهـا وأقربهـا إلى الدليليـة[١٢].

المطلب الثاني

التقريب بين المذاهب الاسلامية

إنّ فكـرة التقريـب بـين المذاهـب الإسـلامية مـن المكونـات الأساسـية لأي مـشروع إصلاحـي ينشـد التجديـد الحضـاري، والتمسـك بالمصالـح العليـا والقيـم والمقاصـد العامـة للشريعـة والأمـة الإسـلامية، وينبغـي أنْ لا يفهـم مـن التقريـب أو الوحـدة الإسـلامية هـو جمـع المسـلمين تحـت مذهـب واحـد، بـل غايـة الأمـر

هو تحديد الاصول الاسلامية المتفق عليها من جميع المذاهب، بغية التقريب بينها، واحترام كلّ فريق رأي الفريق الآخر في المسائل الفرعية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنْ يكون هذا الرأي مشفوعاً بالدليل العلمي.

إنّ سلوك منهج المقارنة في البحث يؤدي دون شكّ الى تحديد موارد الاختلاف والاشتراك، ويكشف في نفس الوقت عن الوفاق الفكري الاسلامي والمبادئ المشتركة، ومن الواضح أنّ دراسة الرؤى المختلفة يصير سبباً لحسن التفاهم والتقارب. وعليه فليس المقصود من التقريب أنْ يتحول السني الى شيعي أو بالعكس، وإنّما يعني التقريب إزالة التشنج الناتج عن الخلافات التاريخية والعقائدية والفقهية أوّلاً، وعرض المسائل العلمية الخلافية على بساط البحث العلمي الموضوعي النزيه ثانياً، والبحث عن المفاهيم والتصورات والأحكام والقواعد والأصول الفقهية والأحاديث المشتركة، لكي تكون قاعدة لالتقاء المسلمين على ارضية واحدة ثالثاً، والسعي الجاد لتوحيد الموقف السياسي من القضايا الإسلامية الأساسية رابعاً.

وقد نقل لنا التأريخ أنّ علماء الشيعة لهم جهود مهمة لها اثرها البارز في زرع وتنمية بذرة الفكر التقريبي بين المذاهب الاسلامية، حيث كان ولا يزال لعلماء الشيعة دور كبير في ترسيخ مفاهيم الوحدة الإسلامية. ولما كان الموضوع على هذا المستوى من الأهمية، لذا يأتي هذا البحث في إطار محاولة متواضعة من اجل تسليط بعض الأضواء على أبرز الجهود التي اضطلع بها العلامة الحلي، حيث كانت له خطوات بارزة ومهمة في إطار التقريب بين المذاهب الإسلامية، خدمة للدين الإسلامي الحنيف وصوناً لعزة المسلمين.

أثر اصول الفقه المقارن في التقريب بين المذاهب الاسلامية.

يعتبر الاختلاف في مسائل وقواعد اصول الفقه هو الاساس في جلّ الاختلافات في الفتاوى، والاختلاف في اصول الفقه يقع بين المجتهدين في مرحلتين:

المرحلة الأولى: في تكوين النظريات العامّة والقواعد المشتركة للتفكير الفقهي، وبعبارة اخرى: الخلاف في الاصول والمباني العامّة المعتمدة في الاستنباط الاجتهادي، كالخلاف في حجّية القياس أو العقل أو الاستصحاب.

المرحلة الثانية: في مجال تطبيق تلك القواعد والنظريات العامّة على صغرياتها ومواردها الخاصّة، وبعبارة اخرى: الخلاف في تعيين مصاديق تلك الكبريات وموارد انطباقها.

والمهم هو المرحلة الاولى، فهي التي ترتبط بمحلّ بحثنا، ومنشأ الاختلاف فيها إنّما هو من جهة الاختلاف في نتائج الأفكار التي تستعمل في تكوين تلك القواعد والنظريات العامّة، وتحديدها في الحدود المسموح بها وفقاً لشروطها العامّة؛ فإنّ نتيجة التفكير حول حجّية النصوص التشريعية تختلف بطبيعة الحال سعة وضيقاً؛ كماً وكيفاً، تبعاً لاختلاف شروطها العامّة.

وكذلك حول استفادة مداليل تلك النصوص على أساس المناسبات العرفية الارتكازية، ومطابقة تلك المداليل للواقع الموضوعي، ومستوى تلك القواعد ومداها دقةً وشمولاً.

ثمّ إنّ ذلك الاختلاف الموجود في نتائج الافكار بين المجتهدين في تحديد تلك القواعد والنظريات العامّة في الأصول على صعيد البحث النظري يرجع في نهاية المطاف إلى إحدى النقاط التالية:

الأولى: الموقف النفسي لكلّ مجتهد إزاء تحديد تلك القواعد والنظريات العامّة وتكوينها وفقاً لشروطها؛ فإنّه قد يؤثر في موقفه الواقعي أمام هذه القواعد والنظريات، ويغيره عن وجهه الواقعي.

الثانية: المقدرة الفكرية الذاتية؛ فإنّ لاختلاف المجتهدين في تلك المقدرة الفكرية أثراً كثيراً، لاختلافهم في تحديد تلك القواعد والنظريات العامّة وتكوينها بصيغة أكثر دقة وعمقاً.

الثالثة: المقدرة العلمية بصورة مسبقة؛ فإنّ لاختلاف المجتهدين في تلك المقدرة العلمية أثراً بارزاً في كيفية تكوين تلك القواعد والنظريات العامّة؛ تبعاً لشروطها.

الرابعة: غفلة المجتهد خلال دراسة تلك القواعد، وممارستها عما يفرض دخله في تكوينها، أو عدم استيعابه تمام ما يفرض دخله فيه؛ فإنّ ذلك يغير وجه تلك القواعد سعة وضيقاً عن واقعها.

الخامسة: اختلاف الظروف والبيئة التي يعيش المجتهد فيها مدة من عمره؛ فإنّه قد يؤثر في سلوكه العملي تجاه تكوين تلك القواعد، وتحديدها في إطار إسلامي.

السادسة: خطأ المجتهدين في الفهم والنظر؛ حيث إنّه يغير وجه تكوين تلك القواعد، والنظريات العامّة عن واقعها الموضوعي كماً وكيفاً[١٣].

وقد تقدم أنّ الغاية من أصول الفقه المقارن هي الفصل بين آراء المجتهدين بتقديم أمثلها وأقربها إلى الدليلية، بمعنى تشخيص الادلة والقواعد العامّة التي يعتمد عليها الفقهاء في استنباط الحكم الشرعي، ومن الواضح أهمية هذه العملية في تقريب وجهات النظر فيما يرتبط بتشخيص الحكم الشرعي، فإنّ تقليل الخلاف في تلك الادلة والقواعد يوجب تقليص دائرة الخلاف في الأحكام الشرعية، وهذا أمر مهم في مجال التقريب بين المذاهب الاسلامية.

المبحث الثاني

نبذة من حياة العلامة الحلي

اسمه ونسبه: قال العلامة في ذكر اسمه ونسبه: الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر بالميم المضمومة والطاء غير المعجمة والهاء المشددة والراء أبو منصور الحلي مولداً ومسكناً[١٤]، فاسمه: الحسن، كما ذكره هو بنفسه، واتفق عليه أكثر المؤرخين.

كنيته: أبو منصور، كما كناه بها والده[١٥].

لقبه: آية الله على الإطلاق، وهو اللقب المذكور في المصادر الشيعية، وجمال الدين وهو اللقب المذكور في مصادر الفريقين، والعلامة على الإطلاق أو علامة الدهر، والامام، والفاضل.

هذا إلا أنّ الصفدي وهكذا ابن حجر وغيرهم وصفوه بالمعتزلي[١٦]، وقال السيد محسن الامين في التعليق على ذلك: «هذا مبني على موافقة المعتزلة الشيعة في بعض الأصول

المعروفة، كما وقع لكثيرين في كثيرين، وإلا فأين الشيعي من المعتزلي»[١٧].

والحلة التي ينتمي إليها العلامة، وفيها مولده، ومسكنه حلة بني مزيد، وهي الحلة السيفية، قال ياقوت الحموي، ت: ٦٢٦هـ: «مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمّى الجامعين... وكان أوّل من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي[١٨]، وكانت منازل آبائه الدور من النيل، فلما قوي أمره واشتد إزره وكثرت أمواله انتقل إلى الجامعين موضع في غربي الفرات ليبعد عن الطالب، وذلك في محرم سنة ٤٩٥هـ، وكانت اجمة تأوي إليها السباع، فنزل بها بأهله وعساكره، وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة، وتأنق أصحابه في مثل ذلك، فصارت ملجأ، وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياة سيف الدولة، فلما قتل بقيت على عمارتها، فهي اليوم قصبة تلك الكورة، وللشعراء فيها أشعار كثيرة»[١٩].

مولده ونشأته: اتفقت المصدر على أنّ ولادته في شهر رمضان عام ٦٤٨هـ، وما ذكره السيد الامين في الأعيان نقلاً عن خلاصة العلامة من أنّه ولد سنة ٦٤٧هـ[٢٠]، فهو خطأ بيّن، لمخالفته للمصادر كافة، ولجميع نسخ الخلاصة التي نقل عنها الأصحاب، فما ذكره إمّا سهو من قلمه الشريف، أو خطأ مطبعي، أو خطأ أو تصحيف في نسخة الخلاصة التي نقل عنها.

وكانت ولادته في يوم ١٩ شهر رمضان، كما ذكر ذلك العلامة نفسه في الخلاصة بقوله: «والمولد تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة»[٢١].

أسرته: أبوه هو: سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي، وقد صفه ابن داود: بأنّه كان فقيهاً محققاً مدرساً عظيم الشأن[٢٢]، ووصفه الشهيد الأوّل، ت: ٧٨٦هـ، في إجازته لابن الخازن بـ(الامام السيد الحجّة)[٢٣]، ووصفه الشهيد أيضاً في إجازته لابن الخازن[٢٤]، كما في التحفة بـ(الامام الأعظم الحجّة أفضل المجتهدين السعيد الفقيه)[٢٥]،

ووصفه المحقق الكركي، في إجازته للشيخ علي الميسي بـ«الشيخ الأجل الفقيه السعيد شيخ الاسلام»[٢٦]. ويكفيه فخراً وعزاً وشرفاً كونه أعلم أهل زمانه بعلم الكلام وعلم أصول الفقه، كما اعترف به المحقق الحلي، ت: ٦٧٦هـ، حيث قال ولده العلامة أبو منصور في إجازته لبني زهره: إنّ الشيخ الأعظم خواجة نصير الدين الطوسي، ت: ٦٧٢هـ، لما جاء إلى العراق حضر الحلة، فاجتمع عنده فقهاء الحلة، فأشار إلى الفقيه نحم الدين جعفر بن سعيد وقال: مَنْ أعلم هؤلاء الجماعة؟، فقال له: كلّهم فاضلون علماء، إنْ كان واحد منهم مبرزاً في فنٍ كان الآخر مبرزاً في فنٍ آخر، فقال: مَنْ أعلمهم بالأصولين؟، فأشار إلى والدي سديد الدين يوسف بن المطهر وإلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهيم، فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه[٢٧].

وبفضل هذا الشيخ المعظم وتدبيره نجا أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين من القتل والنهب والسبي، وذلك حين غزا التتار العراق وعملوا ما عملوا، قال ولده أبو منصور في كشف اليقين: لما وصل السلطان هولاكو إلى بغداد قبل أنْ يفتحها هرب أكثر أهل الحلة إلى البطائح لا القليل، فكان من جملة القليل والدي، والسيد مجد الدين ابن طاووس والفقيه ابن أبي العز، فاجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنّهم مطيعون داخلون تحت إيالته، وأنفذوا به شخصاً أعجمياً، فانفذ السلطان إليه فرمانا مع شخصين، أحدهما يقال له فلكة والآخر يقال له علاء الدين، وقال لهما: قولا لهم: إنْ كانت قلوبكم كما وردت به كتبكم تحضرون إلينا، فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي إليه الحال، فقال والدي: إنْ جئت وحدي كفى؟، فقالا: نعم، فاصعد معهما، فلما حضر بين يديه وكان ذلك قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة، قال له: كيف قدمتم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أنْ تعلموا بما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم؟، وكيف تأمنون أنْ يصالحني ورحلت عنه؟، فقال

والـدي رحمه الله : إنّـما أقدمنـا عـلى ذلـك لأنّـا روينـا عـن أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام أنّـه قـال في خطبـة: الـزوراء ومـا أدراك مـا الـزوراء، أرض ذات اثـل، يشـيد فيهـا البنيـان وتكثـر فيهـا السـكان، ويكـون فيهـا محـاذم وخـزان، يتخذهـا ولـد العبـاس موطنـاً، ولزخرفهـم مسـكناً، تكـون لهـم دار لهـو ولعـب، يكـون بهـا الجـور الجائـر والخـوف المخيـف والأئمـة الفجـرة والأمـراء الفسـقة والـوزراء الخونـة، تخدمهـم أبنـاء فـارس والروم، ولا يأتمـرون بمعـروف إذا عرفـوه، ولا يتناهـون عـن منكـر إذا أنكـروه، يكتفـي الرجـال منهـم بالرجـال، والنسـاء منهـم بالنسـاء، فعنـد ذلـك الغـم العميـم والبـكاء الطويـل والويـل والعويـل لأهـل الـزوراء مـن سـطوات الـترك، وهـم قـوم صغـار الحـدق، وجوههـم كالمجـان المطوقـة، لباسـهم الحديـد، جـرد مـرد، يقدمهـم ملـك يـأتي مـن حيـث بـدأ ملكهـم، جهـوري الصـوت، قـوي الصولـة، عـالي الهمـة، لا يمـر بمدينـة إلا فتحهـا، ولا ترفـع عليـه رايـة إلا نكسـها، الويـل الويـل لمـن نـاواه، فـلا يـزال كذلـك حتـى يظفـر.

فلـما وصـف لنـا ووجدنـا الصفـات فيكـم رجونـاك فقصدنـاك، فطيـب قلوبهـم وكتـب لهـم فرمانـاً باسـم والـدي رحمه الله يطيـب قلـوب أهـل الحلـة وأعمالهـا[٢٨].

ولا ينبغـي أنْ يفهـم أنّ إقـدام والـد العلامـة عـلى مثـل هـذه المحاولـة أنّـه بصـدد مسـاومة الفاتـح الأجنبـي، ومسـاعدته عـلى تسـليط الكافـر عـلى المؤمـن، كـما يتصـوره البعـض، فـإنّ هـذا العـالم الجليـل الـورع يعـرف أنّ الكافـر لا سـبيل لـه عـلى المؤمـن، لكـنْ لمـا شـهد أنّ الخليفـة العبـاسي آنـذاك منهمـك في لهـوه ولعبـه لم يفكـر في مصـير نفسـه فضـلاً عـن غـيره، فهـو عـلى علـم بعـدم وجـود القـدرة الكافيـة لمواجهـة الغـزو المغـولي، وكان يعلـم أنّ المغـول التتـار إذا دخلـوا بلـدة فيصنعـون بهـا مـن الدمـار والهـلاك والسـبي والتعـدي عـلى النامـوس مـا لا يعلمـه إلا الله تعـالى، ولـذا صمـم هـو ومَـنْ معـه كخطـوة أولى للحفـاظ عـلى المشـهدين الشريفـين والحلـة وأعمالهـا، فذهـب الشـيخ سـديد الديـن إلى هولاكـو ونجـح هـذا النجـاح

الباهر في إتمام هذه الخطوة الأولى، والحصول على الأمان لأهل هذه المناطق.

وكخطوة ثانية ألّف السيد مجد الدين محمد بن طاووس، ت:هـ، كتاب البشارة وأهداه إلى هولاكو، فأنتجت هذه الخطوة أنْ ردّ هولاكو شؤون النقابة في البلاد الفراتية الى السيد ابن طاووس، وأمر هولاكو بسلامة المشهدين والحلة.

وكخطوة ثالثة وهي مرحلة الاصلاح حاولوا اصلاح هذا المعتدي وردعه عن ارتكاب الجرائم، وهدايته هو ومَنْ معه إلى الصراط المستقيم، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثمرت هذه الخطوة ببركة الخواجة نصير الدين الطوسي، ت: ٦٧٢هـ، أنْ أسلم الملك هولاكو وكثير من المغول، واستطاع نصير الدين الطوسي الحفاظ على ما تبقى من التراث بعد هلاك جلّه، وصار نصير الدين الطوسي وزير هذا السلطان، وقام بمهام كبيرة في خدمة العلم والعلماء، والحفاظ على النفوس والدماء.

وأمه هي: بنت العالم الفقيه الشيخ أبي يحيى الحسن ابن الشيخ أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي، وهي أيضاً أخت الشيخ أبي القاسم جعفر المحقق الحلي، فمن المعلوم أن امرأة كهذه تربت ونشأت في وسط جو مملوء بالتقوى، وبين علماء أفذاذ لا تكون إلا امرأة صالحة تقية حقيق لها أنْ تنجب مثل العلامة الحلي.

وجده لأبيه هو: زين الدين علي بن المطهر الحلي، وصفه الشهيد الأوّل، ت: ٧٨٦هـ، في إجازته لابن الخازن: بـ(الامام)[٢٩]، ومنه يظهر أنّه كان من العلماء البارزين في عصره.

وجد أمه هو: أبو زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الحلي، وصفه الحر العاملي، ت: ١١٠٤هـ، بأنّه كان عالماً محققاً[٣٠].

وخاله هو: نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي، المعروف بالمحقق الحلي، ت: ٦٧٦هـ، قال العلامة في إجازته لبني زهرة: «وهذا الشيخ كان أفضل أهل عصره في الفقه»[٣١]، ووصفه المحدث البحراني، ت: ١١٠٤هـ بأنّه كان محقق الفقهاء

ومدقق العلماء، وحاله في الفضل والنبالة والعلم والفقه والجلالة والفصاحة والشعر والأدب والانشاء أشهر من أنْ يذكر وأظهر من أنْ يسطر[٣٢].

والذي يظهر من الجمع بين تاريخ ولادة العلامة ٦٤٨ ووفاته ٧٢٦، وبين تاريخ وفاة المحقق ٦٧٦، أنّ العلامة كان عند وفاة المحقق ابن ٢٨ سنة، وأنّه بقي بعده ٥٠ سنة. وابنه هو: فخر الدين محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، قال الحافظ الابرو الشافعي المعاصر له: إنّ العلامة لما حضر عند السلطان كان معه ولده فخر الدين، فكان شاباً عالماً كبيراً مؤهلاً حسن الأخلاق مرضي الخصال[٣٣]، ووصفه الحر العاملي، ت: ١١٠٤هـ: بأنّه كان فاضلاً محققاً فقيهاً ثقة جليلاً، يروي عن أبيه العلامة وغيره[٣٤].

قرأ العلامة على جم غفير من جهابذة عصره في شتى العلوم من العامة والخاصّة، كما روي عنهم وعن غيرهم:

فمن الخاصّة:

١ـ والده الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي، أوّل مَنْ قرأ عليه، فأخذ منه الفقه والأصول والعربية وسائر العلوم، وروى عنه الحديث.

٢ـ خاله الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي، أخذ منه الكلام والفقه والأصول والعربية وسائر العلوم وروى عنه، وكان تتلمذه عليه أكثر من غيره من مشايخه.

٣ـ الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي، أخذ منه العقليات والرياضيات، قال العلامة عند روايته عنه كما في إجازته لبني زهرة: «وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية، وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية والأحكام الشرعية على مذهب الامامية، وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق، نور الله ضريحه، قرأت عليه الهيات الشفا لابن سينا وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه رحمه الله، ثمّ أدركه الموت المحتوم قدس الله روحه»[٣٥].

وذكر الحر العاملي، ت:١١٠٤هـ،

أنّ العلامة قرأ على المحقق الطوسي في الكلام وغيره من العقليات، والمحقق الطوسي قرأ على العلامة في الفقه[٣٦].

٤ـ ابن عم والدته الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلي، صاحب الجامع للشرائع.

٥ـ الشيخ كمال الدين ميثم بن علي البحراني، صاحب الشروح الثلاثة على نهج البلاغة، قرأ عليه العقليات وروى عنه الحديث.

٦ـ السيد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس الحسيني، صاحب كتاب البشرى، أخذ عنه الفقه.

٧ـ السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس الحسيني، ت: ٦٦٤هـ، صاحب كتاب الاقبال.

قال العلامة عند روايته عن السيدين المتقدمين ـ كما في إجازته لبني زهرة: «وهذان السيدان زاهدان عابدان ورعان، وكان رضي الدين علي رضي الله عنه صاحب كرامات، حكى لي بعضها، وروى لي والدي رضي الله عنه البعض الآخر»[٣٧].

٨ـ السيد غياث الدين عبد الكريم بن طاووس، صاحب فرحة الغري، أخذ وروى عنه.

٩ـ الشيخ مفيد الدين محمد بن جهيم، قال العلامة عند روايته عنه ـ كما في إجازته لبني زهرة: «وهذا الشيخ كان فقيهاً عارفاً بالأصولين، وكان الشيخ الأعظم الخواجة نصير الدين الطوسي وزير السلطان هولاكو، فأنفذه إلى العراق، فحضر الحلة، فاجتمع عنده فقهاء الحلة، فأشار إلى الفقيه نجم الدين جعفر بن سعيد وقال: مَنْ أعلم هؤلاء الجماعة؟، فقال له: كلهم فاضلون علماء، إنْ كان واحد منهم مبرزاً في فنٍ كان الآخر مبرزاً في فنٍ آخر، فقال: مَنْ أعلمهم بالأصولين؟، فأشار إلى والدي سديد الدين يوسف بن المطهر وإلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهيم، فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه»[٣٨].

١١ـ الشيخ بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي، صاحب كتاب كشف الغمة.

١٢ـ الشيخ نجيب الدين محمد بن نما الحلي.

١٣ـ السيد أحمد بن يوسف العريضي.

وأمّا اساتذته من العامّة فنذكر منهم:

١ـ الشيخ نجم الدين علي بن عمر القزويني الشافعي، ت: ٦٧٥هـ، صاحب كتاب الشمسية في المنطق[٣٩]، قال العلامة عند روايته عنه: «كان من فضلاء العصر وأعلمهم بالمنطق، وله تصانيف كثيرة، قرأتُ عليه شرح الكشف إلا ما شذّ، وكان له خلق حسن ومناظرات جيدة، وكان من أفضل علماء الشافعية عارفاً بالحكمة»[٤٠].

٢ـ الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكيشي، قال العلامة عند روايته عنه: «وهذا الشيخ كان من أفضل علماء الشافعية، وكان من أنصف الناس في البحث، كنتُ اقرأ عليه واورد عليه اعتراضات في بعض الأوقات، فيفكر ثمّ يجيب تارةً، وتارةً أخرى يقول: حتى نفكر في هذا عاودني هذا السؤال، فأعاوده يوماً ويومين وثلاثة، فتارةً يجيب، وتارةً يقول: هذا عجزتُ عن جوابه»[٤١].

٣ـ الشيخ جمال الدين حسين بن أياز النحوي، ت: ٦٨١هـ، قال العلامة عند روايته عنه: وهذا الشيخ كان أعلم أهل زمانه بالنحو والتصريف، له تصانيف حسنة في الأدب[٤٢].

٤ـ الشيخ ابو البركات عبدالله بن احمد النسفي الحنفي، ت: ٧١٠هـ[٤٣]، قال العلامة عند روايته عنه ـ كما في إجازته لبني زهرة: «وهذا الشيخ كان عظيم الشأن زاهداً مصنفاً في الجدل، استخرج مسائل مشكلة، قرأتُ عليه بعض مصنفاته في الجدل، وله مصنفات متعددة»[٤٤].

٥ـ الشيخ أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري، ت: ٦٦٠هـ[٤٥].

٦ـ الشيخ حسن بن محمد الصنعاني، صاحب كتاب التكملة والذيل والصلة لتاج اللغة وصحاح العربية.

٧ـ الشيخ جمال الدين محمد البلخي، روى عنه صحاحهم.

٨ـ السيد شمس الدين عبد الله البخاري، روى عنه صحاحهم.

٩ـ الشيخ تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي بن الصباغ الحنفي الكوفي، ت: ٧٢٧هـ[٤٦]، قال العلامة

عنـد روايتـه عنـه ـ كـما في إجازتـه لبنـي زهـرة: «وهـذا الشـيخ كان صالحـاً مـن فقهـاء الحنفيـة بالكوفـة»[٤٧].

تلامذته والراوون عنه:

قـرأ عليـه وروى عنـه جمـع كثـير مـن العلـماء الأفـذاذ نذكـر منهـم:

١ـ ولـده فخـر الديـن محمـد، قـرأ عـلى والــده في جــل العلــوم وروى عنــه الحديــث.

٢ـ ابـن أختـه السـيد عميـد الديـن عبد المطلـب الحسـيني الأعرجـي الحلي.

٣ـ ابـن أختـه السـيد ضيـاء الديـن عبـد الله الحسـيني الأعرجـي الحلي[٤٨].

٤ـ الشــيخ رضي الديــن أبــو الحســن عـلي بـن أحمـد المرنـدي، كـما اسـتظهره صاحــب الريــاض مــن الأســانيد والاجــازات، وخاصّــة في بعــض أسـانيد الشـهيد الثاني، ت: ٩٦٥هـ، إلى الصحيفــة الكاملــة الســجادية[٤٩].

٥ـ الشـيخ سراج الديـن حسـن بـن محمـد بـن أبي المجـد السرابشـنوي، ولـه إجـازة منـه[٥٠].

٦ـ الشـيخ تـاج الديـن حسـن بـن الحسـين بـن الحسـن السرابشـنوي الكاشــاني[٥١].

٧ـ عـلاء الديـن أبـو الحسـن عـلي بـن زهـرة.

٨ـ ابـن عـلاء الديـن شرف الديـن أبـو عبـد الله الحسـين.

٩ـ ابـن عـلاء الديـن بـدر الديـن أبـو عبـد الله محمـد.

١٠ـ ابـن بـدر الديـن أمـين الديـن أبـو طالـب أحمـد.

١١ـ ابـن بـدر الديـن عـز الديـن أبـو محمـد الحسـن.

ولهـؤلاء الخمسـة إجـازة مبسـوطة مـن العلامـة، ذكـر فيهـا جـل طرقـه والذيـن يـروي عنهـم شـيعة وسـنة، وهـي المعروفـة بإجـازة العلامـة لبنـي زهــرة، تاريخهــا ســنة ٧٢٣[٥٢].

١٢ـ السـيد نجـم الديـن النسـابة مهنـا بـن سـنان المـدني الحسـيني، ولـه مـن العلامــة إجازتــان: الأولى متوســطة، ذكــر فيهــا طرقــه[٥٣]، والثانيــة ذكــر فيهــا مؤلفاتــه[٥٤].

١٣ـ الشـيخ قطـب الديـن محمـد بـن محمـد الـرازي البويهـي، شـارح الشمسـية والمطالـع[٥٥].

١٤ـ تـاج الديـن محمـود بـن المـولى زيـن الديـن محمـد بـن القـاضي عبـد الواحـد الـرازي[٥٦].

١٥ـ المـولى زيـن الديـن عـلي الـسروي

الطبرسي، وله إجازة منه على ظهر القواعد[٥٧].

١٦ـ السيد جمال الدين الحسيني المرعشي الطبرسي الآملي، له إجازة منه[٥٨].

١٧ـ الشيخ عز الدين الحسين بن إبراهيم بن يحيى الاسترآبادي، وله منه إجازة[٥٩].

١٨ـ الشيخ جمال الدين أحمد ابن الشيخ أبي عبد الله بن أبي طالب بن علي الآوي[٦٠].

١٩ـ الخواجة رشيد الدين علي بن محمد الرشيد الآوي، وله منه إجازة مختصرة[٦١].

٢٠ـ الشيخ محمد بن إسماعيل بن الحسين الهرقلي، وله منه إجازة مختصرة[٦٢].

إلى غير ذلك ممن قرأ عليه وروى عنه بلا واسطة، قال السيد الصدر: أنّه خرج من عالي مجلس تدريسه ٥٠٠ مجتهد[٦٣]، وذكر المولى عبدالله الافندي: أنّه كان في عصر العلامة في الحلة ٤٤٠ مجتهداً[٦٤].

عصره: لقد أتيح للعلماء في ذلك العصر الفرصة لبث علومهم ونشرها، فاستطاع العلماء أنْ يأخذوا حريتهم لنشر المعارف وترويجها، وذلك لوجود السلطان محمد خدابنده، فالتاريخ يحدثنا عن هذا السلطان بأنّه كان صاحب ذوق سليم وصفات جليلة وخصال حميدة، يحب العلم والعلماء بالاخصّ السادات، وكان يعتني بهم كثيراً، وكانت أكثر معاشرته ومؤانسته مع الفقهاء والزهاد والسادة والأشراف، فحصل للعلم والفضل في زمان دولته رونق تام ورواج كثير[٦٥].

ومن إنصاف هذا السلطان وحبه للواقع أنْ جمع علماء المسلمين للمباحثة فيما بينهم ليختار المذهب الصحيح، وبعد المناظرات الطويلة اختار مذهب الامامية بفضل العلامة الحلي قدس سره، وبعدما استبصر هذا السلطان لم يرض بمفارقة العلامة، بل طلب منه أنْ يكون دائماً معه، وأسس له المدرسة السيارة ليكون هو وتلاميذه معه. ومن حسن سيرة هذا السلطان وإنصافه أنّه بعد ما استبصر وعرف الحقّ لم يهمل بقية العلماء من فرق المسلمين، بل أبقى لهم منزلتهم واحترامهم، لحبه للعلم والعلماء،

وأمر قسماً كبيراً من مبرزيهم بالحضور معه في المدرسة السيارة. ويؤيد هذا أنّا لو تفحصنا في كتب التراجم لوجدنا أنّ جل علماء الشيعة كانوا في زمن العلامة ما بين القرن السابع والثامن، وهذه البرهة من الزمن بها تمّ تثبيت قواعد التشيع أكثر من سابقها، وحتى علماء السنة، فنرى كبار علمائهم كانوا في هذه الفترة من الزمن، وقد مرّ ذكر قسم من العلماء البارزين في عصر العلامة تحت عنواني مشايخه وتلامذته، فليرجع إليهما.

كلمات العلماء المضيئة في وصفه:

إنّ العلامة الحلي الذي ذاع صيته، وانتشر فضله، في غنى عن تعريف العلماء من حين نشأته وحتى يومنا هذا، ومع ذلك فقد وصفه كثير من العلماء بكلمات تدل على مكانته ومنزلته العلمية، سواء من الخاصّة والعامة، وفي هذا المجال نذكر بعض من كلمات علماء المذاهب الاسلامية في هذا المجال:

فهذا معاصره الصفدي، قال في حقّه: «الإمام العلامة ذو الفنون، عالم الشيعة وفقيههم، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته، وكان يصنف وهو راكب، وكان ابن المطهر ريض الأخلاق، مشتهر الذكر، تخرج به أقوام كثيرة، وكان إماماً في الكلام والمعقولات»[٦٦].

وقال تلميذه محمد بن علي الجرجاني، في حقّ استاذه العلامة: «شيخنا المعظم وإمامنا الأعظم، سيد فضلاء العصر ورئيس علماء الدهر، المبرز في فني المعقول والمنقول، المطرز للواء علمي الفروع والأصول، جمال الملة والدين سديد الاسلام والمسلمين»[٦٧].

وقال ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ: «عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم، وكان آية في الذكاء...، وكان مشتهر الذكر حسن الاخلاق»[٦٨]، وقال في الدرر الكامنة: «اشتغل في العلوم العقلية فمهر فيها، وصنف في الاصول والحكمة، وكان رأس الشيعة بالحلة، واشتهرت تصانيفه وتخرج به جماعة، وشرحه على مختصر ابن الحاجب في غاية الحسن في حل الفاظه وتقريب معانيه، وصنف في فقه الامامية وكان قيّماً بذلك داعية إليه...، بلغت

تصانيفه مائة وعشرين مجلداً»[٦٩].

ومما تقدم في هذه الكلمات التي قالها في حقّه العلماء وما تقدم من سيرته نستكشف أنّ العلامة حاز مرتبة علمية سامية تفوق بها على العلماء، وكان له ذكاء خارق للعادة، وبذكائه هذا وعلمه استطاع أنْ يفحم أعلم علماء السنة بمناظراته العذبة الدقيقة، وبسببه تشيع السلطان خدابنده وكثير من الامراء ثمّ كثير من الناس، وذلك لما شاهدوا لسان العلامة ينطق بالحقّ الذي لا ريب فيه.

وعلى اساس ذلك يمكن القول بأنّ العلامة قد تركزت بجهوده المباركة أركان الاسلام بصورة عامة والتشيع بصورة خاصّة أكثر مما كانا عليه، فالعلامة له حقّ كبير على المسلمين عموماً والشيعة خصوصاً، لابدّ وأنْ يقدروه.

وتجدر الاشارة الى أنّ العلامة نال درجة الاجتهاد في زمن الصبا، قبل أنْ يصل إلى سن التكليف[٧٠]، حيث قال في إجازته لبني زهرة عند ذكره لاستاذه نصير الدين الطوسي: «قرأتُ عليه إلهيات الشفا لابي علي بن سينا، وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفهرحمه الله ثمّ أدركه الموت المحتوم قدّس الله روحه»[٧١]، فالجمع بين ولادة العلامة سنة ٦٤٨هـ، ووفاة الطوسي سنة ٦٧٢هـ، يقتضي أنْ يكون العلامة قد أكمل هذه المرحلة من الدراسة وهو في سن ٢٤ سنة.

ومن هذا يعلم أنّ نصير الدين الطوسي لما وصف العلامة بـ«العالم الذي إذا جاهد فاق»[٧٢]، كان قبل وصول العلامة إلى سن ٢٤.

ومن طريف ما ينقل أنّ العلامة كان في حال طفولته يدرس عند خاله المحقق الحلي، ت: ٦٧٦هـ، وفي بعض الاوقات يهرب من الدرس، فكان المحقق يلحقه ليمسك به، فإذا وصل قربه قرأ العلامة آية السجدة، فيسجد المحقق ويغتنم العلامة الفرصة للهروب[٧٣].

ومما يدلّ على غزارة علمه ما ذكره هو في إجازته لبني زهرة عند ذكره أستاذه شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكيشي، قال: «هذا الشيخ كان من أفضل علماء الشافعية، وكان من انصف الناس في البحث، كنتُ

اقرأ عليه وأورد عليه اعتراضات في بعض الأوقات، فيفكر ثمّ يجيب تارةً، وتارةً أخرى يقول: حتى نفكّر في هذا عاودني هذا السؤال، فأعاوده يوماً ويومين وثلاثة فتارةً يجيب، وتارةً يقول: هذا عجزتُ عن جوابه»(٧٤).

والذي يظهر من الجمع بين تاريخ ولادة العلامة سنة ٦٤٨هـ ووفاته سنة ٧٢٦هـ وبين وفاة المحقق الحلي سنة ٦٧٦هـ أنّ العلامة كان عند وفاة المحقق ابن ٢٦ سنة، وأنّه بقي بعده ٥٠ سنة، فانتقلت إليه زعامة الشيعة، فكان هو المحور الاساسي الذي تدور حوله رحى الاسلام والتشيع.

قال السيد حسن الصدر، ت: ١٣٥٤هـ: «وخرج من عالي مجلس تدريسه خمسمائة مجتهد»(٧٥).

مؤلفاته: ألّف العلامة كتباً كثيرة في شتى العلوم المعقول منها والمنقول، فصنف في الفقه، وأصوله، والتفسير، والرجال، والدراية، وفي الحكمة، والمنطق، والكلام، والنحو، وغير ذلك.

قال ابن حجر في الدرر الكامنة: «اشتغل في العلوم العقلية فمهر فيها، وصنف في الاصول والحكمة...، واشتهرت تصانيفه...، وصنف في فقه الامامية وكان قيّماً بذلك داعية إليه...، بلغت تصانيفه مائة وعشرين مجلداً»(٧٦).

وقد تصدى بعضهم لاحصاء مؤلفاته، فذكر اسماء المؤلفات الثابتة نسبتها له، فبلغت ١٠١ مؤلَّف، وذكر اسماء الكتب المشكوكة نسبتها إليه فبلغت ٢٣ مؤلَّف(٧٧).

وفاته ومدفنه: في شهر محرم الحرام سنة ٧٢٦هـ، وبينما الشيعة في مصاب وعزاء وحزن على سيدهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وإذا بالناعي ينعاهم فقدان أبيهم وزعيمهم العلامة الحلي والتحاقه بالرفيق الأعلى، فازدادت آلام الشيعة وأحزانهم، ونصبوا في تلك السنة مأتمين وأقاموا عزاءين، على سيد شهداء أهل الجنة عليه السلام وعلى عبده وناصره بلسانه وقلمه العلامة الحلي، فقد اتفقت المصادر على أنّ وفاة العلامة كانت في ليلة السبت أو يومه من المحرم سنة ٧٢٦هـ.

ولما توفي العلامة في الحلة حمل نعشه الشريف على الرؤوس إلى

النجف الاشرف، ودفن في جوار أمير المؤمنين عليه السلام، في حجرة صغيرة مختصة به على يمين الداخل من ممر للزائرين إلى الحضرة الشريفة العلوية من جهة باب مسلم بن عقيل عليه السلام، فسلام عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حياً.

المبحث الثالث
جهود العلامة الحلي العلمية في التقريب بين المذاهب الاسلامية

تمهيد: إنّ العصر الذي عاش فيه العلامة قد اتيحت فيه الفرصة للعلماء من جميع المذاهب الاسلامية بث علومهم ونشرها، فاستطاع العلماء أنْ يأخذوا حريتهم في نشر المعارف وترويجها، وذلك لعدة اسباب، أهمها:

١- وجود السلطان محمد خدابنده، فالتاريخ يحدثنا عن هذا السلطان بأنّه كان صاحب ذوق سليم، يحب العلم والعلماء، وكانت أكثر معاشرته ومؤانسته مع الفقهاء والزهاد والسادة والأشراف، فحصل للعلم والفضل في زمان دولته رونق تام ورواج كثير[٧٨].

ومن إنصاف هذا السلطان وحبه للواقع جمع علماء المسلمين للمباحثة فيما بينهم ليختار المذهب الصحيح، وبعد المناظرات الطويلة اختار مذهب الامامية بفضل العلامة الحلي، وبعدما استبصر هذا السلطان لم يرض بمفارقة العلامة، بل طلب منه أنْ يكون دائماً معه، وأسس له المدرسة السيارة ليكون هو وتلاميذه معه.

٢- اريحية العلامة الحلي، فمع كون السلطان قد استبصر بجهود العلامة وكان العلامة قريب منه، لأنّ السلطان لم يرض بمفارقة العلامة إياه، بل طلب من العلامة أنْ يكون دائماً معه، إلا أنّ العلامة لم يوظف هذه المنزلة عند السطان في اقصاء أو تهميش أو التنكيل بعلماء المذاهب الاسلامية الاخرى، فلم ينقل لنا التأريخ شيء من هذا القبيل لا من قريب ولا من بعيد، على خلاف ما حصل لبعض وعاظ السلاطين ممن يُعدّ من علماء المذاهب الاخرى، كما حصل مع الفقيهين الكبيرين المظلومين: الشهيد الأوّل محمد بن مكي العاملي، ت: ٧٨٦هـ[٧٩]،

والشهيد الثاني زين الدين العاملي، ت: ٩٦٥هـ[٨٠]، حيث إنّ محنتهما كانت بسبب وعاظ السلاطين.

فكانت منزلة بقية العلماء من فرق المسلمين محفوظة، ولهم احترامهم وتقديرهم، حيث أمر السلطان قسماً كبيراً من مبرزيهم بالحضور معه في المدرسة السيارة.

وفي عصر العلامة أرجعت الحلة وريثة بابل مكانتها العلمية، فصارت محوراً رئيسياً للعلم والعلماء، ومركزاً للشيعة، ومنها كانت تستقي المدرسة السيارة، وازدهر العلم في زمنه، وكثر العلماء في شتى العلوم.

وبعد هذا نعود للحديث عن جهود العلامة الحلي في مجال التقريب بين المذاهب الاسلامية من خلال الدراسات المقارنة في حقل اصول الفقه المقارن.

إنَّ البحوث الأصولية المُشتركة بين المدارس الاسلامية كثيرة، تُبحث تلك المشتركات عِنْدَ المدارس الاسلامية بشتى مذاهبها؛ إذْ أبرز مصادر التشريع وَهِيَ الكتاب وَسُنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت مُعتمدة عِنْدَ جميع المدارس الاسلامية، وَهُنَاك موارد للخلاف، هذا الاشتراك في مادة البحث الاصولي ـ بالاضافة الى عوامل اخرى ـ فرض أنْ يكون هناك تواصل علمي بين تلك المدارس، وكان ذلك التواصل سائداً وموجوداً ومتعارفاً عليه في العصور المتقدّمة.

وكان لمنهج العلامة الحلي في هذا الصنف من البحوث عدّة مميزات:

١- الموضوعية: بمعنى «أنْ يكون المقارن مهيأ من جهة نفسية للتحلل من تأثير رواسبه، والخضوع لما تدعو إليه الحجّة عند المقارنة سواء وافق ما تدعو إليه ما يملكه من مسبقات أم خالفها»[٨١].

إنّ هذه الميزة لا يتصف بها الباحث عادةً إلا بعد أنْ يمر بدور معاناة طويلة للتجربة في أمثال هذه المجالات، ثمّ يضع الباحث نفسه بعد هذه المعاناة موضع اختبار، ليرى مدى قدرته على الانسجام مع واقع هذه التجربة، بحيث ينقاد الى نتيجة البحث العلمي حتى فيما لو كان على خلاف ما يؤمن به. فاذا كان الباحث بهذا المستوى

من القدرة على التحكم بعواطفه وتغليب جانب العقل عليها كان أهلاً لأنْ يخوض الحديث في أمثال هذه الميادين.

٢- التسلط والهيمنة على مطالب العلم الذي يروم الخوض فيه من زاوية المقارنة، وقد شهد علماء الفن بتضلع العلامة الحلي في مجال علم اصول الفقه.

٣- التواصل مع علماء الفن من خلال قنوات التواصل، ليكون هناك نقاش وحوار جاد، يهدف الى تمييز الحقّ من الباطل.

٤- أنْ يكون الهدف من البحث المقارن هو الوصول الى الحقّ والواقع، وتمييز الحقّ من الباطل، من خلال الحجّة والرهان.

وكان للعلامة الحلي جهوداً واضحة وبارزة في مجال التواصل الفكري، خصوصاً في الدراسات المقارنة، إذ هي التي توجب التقريب في وجهات النظر، وتقليل حدة الخلاف، وكان ذلك له اساليب متعددة، لعلّ من ابرزها المناظرات، والمراسلات، والتأليف في الرد والشرح والمناقشة، والحضور والتلمذ، وغير ذلك من الطرق المعهودة في مجال التواصل الفكري والعلمي.

والحديث عن هذه الطرق والاساليب يقع في مطالب:

المطلب الأوّل: تلمّذ علماء المدارس الاسلامية بعضهم على البعض الآخر.

لقد كان الحضور التلمذ بين علماء المسلمين في مجال الفقه وأصوله أمراً متعارفاً، فالشيخ المفيد، ت: ٤١٣هـ، ـ كما جاء في ترجمته[٨٢] ـ كان تلميذاً لثلاثة من اقطاب المعتزلة، وهم: ابو عبدالله الحسين بن علي البصري، المعروف بـ(جعل)، ت: ٣٦٩هـ[٨٣]، و علي بن عيسى الرماني، ت: ٣٨٤هـ[٨٤]، والقاضي عبدالجبار الهمداني، ت: ٤١٦هـ[٨٥]، وقيل أنّ السيد المرتضى، ت: ٤٣٦هـ تلمّذ ايضاً على القاضي عبدالجبار[٨٦]، وتلمّذ الشيخ الطوسي، ت: ٤٦٠هـ، على يد بعض علماء المذاهب الاسلامية الاخرى[٨٧]، وكان يحضر درس الشيخ الطوسي من العامّة ما لا يمكن حصرهم وعدهم، لما رأوا فيه من شخصية علمية وقّادةً ونبوغاً موصوفاً، وعبقرية ظاهرة في

العلم والعمل[٨٨]، والشهيد الأوّل، ت: ٧٨٦هـ[٨٩]، ذكر في اجازته للشيخ ابن الخازن الحائري[٩٠] أنّه يروي مصنفات العامّة ومروياتهم عن نحو من اربعين شيخاً من علمائهم بمكة والمدينة ودار السلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل ابراهيم[٩١]، والشهيد الثاني، ت: ٩٦٥هـ[٩٢]، جاء في ترجمته أنّه تلمّذ على كثير من علماء المذاهب الاسلامية[٩٣]، وكان يلقي دروسه على ضوء المذاهب الخمسة، ويفتي كلّ فرقة بما يوافق مذهبها[٩٤].

وأمّا العلامة الحلي فقد تقدم ذكر لبعض اساتذته وتلامذته من علماء المذاهب الاسلامية الاخرى، فإنّ العصر الذي عاشه العلامة الحلي يُعدّ من العصور الذهبية في مجال البحث العلمي والمناضرة، ويؤيد هذا أنّا لو تفحصنا في كتب التراجم لوجدنا أنّ جل علماء الشيعة كانوا في زمن العلامة ما بين القرن السابع والثامن، وحتى علماء السنة، فنرى كبار علمائهم كانوا في هذه الفترة من الزمن، منهم ابن الحاجب، ت: ٦٤٦هـ[٩٥]، والعلامة البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ[٩٦]، والذهبي ٧٤٨هـ[٩٧]، وابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ[٩٨]، وابن حجر ٨٥٢هـ[٩٩]، وابن كثير، ت: ٧٧٤هـ[١٠٠]، وابن خلكان، ت: ٦٨١هـ[١٠١]، وغيرهم.

لقد حضر العلامة الحلي عند كثير من علماء السنة لغرض الاستفادة منهم، ومن الذين حضر عندهم: الشيخ جمال الدين حسين بن أياز النحوي، ت: ٦٨١هـ، الشيخ نجم الدين علي بن عمر القزويني الشافعي، ت: ٦٧٥هـ، الشيخ ابوالبركات عبدالله بن احمد النسفي الحنفي، ت: ٧١٠هـ، الشيخ تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي بن الصباغ الحنفي الكوفي، ت: ٧٢٧هـ[١٠٢]، والشيخ عز الدين الفاروقي الواسطي، وشمس الدين محمد بن محمد بن احمد الكيشي، وقد نال بشرف أخذ اجازة الحديث عن رضي الدين حسن بن علي الصنعاني الصنفي، وكذلك تلمذ عنده جماعة من علماء اهل السنة. وكان للحضور والتلمّذ على علماء المسلمين فوائد كثيرة، أهمها

التواصل الفكري، الذي يوجد ارضية خصبة للتقارب، وبيان وجهات النظر بعيداً عن التشنج والمهاترات.

ومن الشواهد على هذه القضية ما ذكره العلامة في إجازته لبني زهرة عند ذكره أستاذه شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكيشي، حيث قال: «كنتُ اقرأ عليه وأورد عليه اعتراضات في بعض الأوقات، فيفكر ثمّ يجيب تارةً، وتارةً أخرى يقول: حتى نفكر في هذا عاودني هذا السؤال، فأعاوده يوماً ويومين وثلاثة فتارةً يجيب، وتارةً يقول: هذا عجزتُ عن جوابه»[١٠٣].

المطلب الثاني: التواصل الفكري والعلمي من خلال المراسلة.

إنّ التواصل المعرفي كان قائماً بين المدرسة الاصولية السنية والشيعية في العصور السابقة، الى حين ظهور الاتجاه الاخباري[١٠٤]، ومن اشكال التواصل التي كانت سائدة هو النقاش عبر المراسلة.

يشهد لذلك ما ورد مِنْ نقاش عبر رسائل بين العلامة الحلّي، ت: ٧٢٦هـ، والعلامة البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ، حيث إنّ العلامة الحلّي ذكر في مسألة توارد الحالتين ـ كما لو فرض أنّ المكلّف يعلم بأنّه قد توضأ جزماً، وقد أحدث جزماً، ولكنْ لا يدري أنّه أحدث أوّلاً ثمّ تطهّر كي يكون الآن متطهّراً، أو بالعكس فالعكس ـ أنّ الحالة السابقة على الحالتين المتواردتين إذا كانت مجهولة فاستصحاب بقاء الوضوء يعارض باستصحاب بقاء الحدث، فلا يجري كلّ من الاستصحابين لأجل المعارضة، وأمّا إذا كانت الحالة السابقة على الحالتين المتواردتين معلومة للمكلّف فحينئذٍ يجري استصحابها.

ونصّ عبارته: «ولو تيقن الحدث وشكّ في الطهارة تطهّر دون العكس، ولو تيقنهما متحدين متعاقبين وشكّ في المتأخر، فإنْ لم يعلم حاله قبل زمانهما تطهّر، وإلا استصحبه»[١٠٥].

والعلامة البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ، راسل العلامة في خصوص هذه المسألة، وكتب إليه أنّ الحالة الاسبق على الحالتين المتواردتين يُجزم بانتقاضها، فلو فرض أنّ الحالة الاسبق على الحالتين المتواردتين

كانت هي الطهارة فقد انتقضت بالحدث جزماً؛ لأنّ الحالة التي حصلت أوّلاً من الحالتين المتواردتين إنْ كانت هي الحدث فقد انتقضت الطهارة السابقة، وإنْ كانت هي الطهارة فقد انتقضت هذه الطهارة والطهارة الاسبق بالحدث الذي هو الحالة الثانية من الحالتين المتواردتين. ونصّ الرسالة: «يا مولانا جمال الدين أدام الله فواضلك، أنت امام المجتهدين في علم الاصول، وقد تقرر في الاصول مسألة اجماعية، هي أنّ الاستصحاب حجّة ما لم يظهر دليل على رفعه، ومعه لا يبقى حجّة، بل يصير خلافه هو الحجّة، لأنّ خلاف الظاهر إذا عضده دليل صار هو الحجّة، وهو ظاهر، والحالة السابقة على حالة الشكّ قد انتقضت بضدها، فإنْ كان متطهّراً فقد ظهر أنّه أحدث حدثاً ينقض تلك الطهارة، ثمّ حصل الشكّ في رفع هذا الحدث، فيعمل على بقاء الحدث باصالة الاستصحاب وبطل الاستصحاب الأوّل، وإنْ كان محدثاً فقد ظهر ارتفاع حدثه بالطهارة المتأخرة عنه ثمّ حصل الشكّ في ناقض هذه الطهارة، والاصل فيها البقاء، وكان الواجب على القانون الكلي الاصولي أنْ يبقى على ضد ما تقدّم»[١٠٦].

وأجاب العلامة الحلّي على ذلك برسالة ذكر فيها أنّ مقصوده هو ما لو علم المكلّف بطرو طهارة وحدث ناقضين، فالطهارة التي حصلت رافعة لحدث، والحدث الذي حصل ناقض لطهارة، وإذا كان الأمر كذلك فعلى المكلّف حينئذٍ أنْ يأخذ بالحالة الاسبق على الحالتين المتواردتين، باعتبار أنّ الحالة الاسبق إذا كانت هي الطهارة مثلاً فيتعين أنْ تكون الحالة الاولى من الحالتين المتواردتين هي الحدث وليس الطهارة، إذ لو كانت الحالة الاولى هي الطهارة لما كانت هذه الطهارة رافعة للحدث. وعلى هذا الاساس يتعين أنْ تكون الحالة الاولى من الحالتين المتواردتين هي الحدث حتى يكون ناقضاً لتلك الحالة الاسبق التي هي الطهارة حسب الفرض، وبالتالي تكون الحالة الثانية من الحالتين المتواردتين نفس الحالة الاسبق، وهي الطهارة، وبذلك يثبت أنّ الوظيفة هي الأخذ

بالحالة السابقة.

نعم، حصلت مسامحة في التعبير، حيث عبّرنا بقولنا (استصحبه)، ولكنّ المقصود من استصحاب الحالة السابقة هو أنّه يُحكم بما يماثلها[١٠٧]، فلاحظ نصّ الرسالة في رياض العلماء[١٠٨].

المطلب الثالث: اعتماد علماء الأصول الإمامية منهج البحث المقارن وتحقيق الحال في المسائل الخلافية في مؤلفاتهم الاصولية.

إنّ علماء الامامية اعتمدوا في كثير من مصنفاتهم الاصولية منهج البحث المقارن، فكانوا يطرحون موارد الخلاف بينهم وبين المدارس الأصولية الأُخرى ويأخذون بنقده وتمحيصه، ولهذا نجد أنَّ المؤلفات الأصولية السابقة كانت تتعرّض إلى مباحث القياس وغيره بالبحث وَالتَحقيق، فَكُلّ ما كَانَ يُطرح مِنْ بحث أصولي عِنْدَ المدارس الأصولية الأُخرى يخضع للبحث والتمحيص والنقد والتقويم والتحليل والنقاش مِنْ قبل علماء الأصول الشيعة.

و«بإمكاننا الجزم بضرس قاطع بأنّ علم اصول الفقه الشيعي حتى قرابة الشهيدين الأوّل ٧٨٦هـ، والثاني ٩٦٥هـ، كان اصولاً مقارناً على المذاهب الاسلامية كافة، فمن ذريعة المرتضى الى عدّة الطوسي الى معارج المحقق الحلّي ونهاية العلامة الحلّي... اصول فقه مقارن على المذاهب الاسلامية...»[١٠٩].

ولذلك يقال إنّ علم الأصول عِنْدَ الشيعة كان ناظراً إلى أصول أهل السَّنَة في المنهجة والبحث، فَهُوَ بمثابة الرقيب عَلَيْهِ والمواجه لَهُ[١١٠]، وَحَيْثُ إنَّ علماء أهل السَّنَة خصوصاً المُعتزلة منهُمْ أدخلوا مسائل مِنْ علم الكلام في البحث الأصولي، وأشتغلوا بها، الأمر الذي دعا علماء الأصول الشيعة الى أنْ يبحثوا تلك المسائل في مؤلفاتهم الأصولية[١١١].

وعلى هَذَا الأساس كَانَ التفكير الأصولي السنّي يشكّل عامل إثارة للتفكير الأصولي الشيعي[١١٢]، ويشهد لذلك ـ عَلَى سبيل المثال لا الحصر ـ ما ذكره السِّيّد ابن زُهرة، ت: ٥٨٥ هـ، في الغُنية من «أنَّ لنا في الكلام في أصول الفقه غرضاً آخر سوى ما ذكرناه، وهو بيان

فساد كثير من مذاهب مخالفينا فيها وكثير مِنْ طرقهم إلى تصحيح ما هُوَ صحيح منها، وَأَنَّهُ لا يمكنهم تصحيح ذَلِكَ بها، واخرجهم بذلك عن كونهم عالمين بشيء منها، وَذَلِكَ يخرجهم عَنْ العلم بشيء مِنْ فروع الفقه؛ لأنَّ العلم بالفرع مِنْ دون العلم بأصله محال، وَهَذَا غرض كبير يدعو إلى العناية بأصول الفقه، ويبعث على الاشتغال به»[١١٣].

الخلاصة: إنّ هَذَا العامل لَهُ الأثر الكبير في رفد البحث الأصولي عِنْدَ الشيعة الإمامية وتطوّره وتوسّعه، وممّا يؤسف له أنّ هذا اللون من البحث قد اضمحلّ، وأصبح قليلاً الى حدّ الندرة.

وكان للعلامة الحلي جهوداً واضحة في هذا المجال، ويمكن ابراز ذلك وتلمسه من خلال كتابين من كتبه في اصول الفقه، وهما:

١ـ نهاية الوصول الى علم الاصول.

إنّ هذا الكتاب يعدّ دائرة معارف في علم اصول الفقه المقارن، حيث جمع فيه العلامة اقوال أئمة الاصول من الاشاعرة والمعتزلة والإمامية وغيرهم، ويمكن القول بأنّ مَنْ يريد الوقوف على آراء الاصوليين من لدن عصر الشافعي الى عصر المؤلف فهذا الكتاب بمفرده كافٍ بذلك.

وقد قام العلامة الحلي بمناقشة الآراء مناقشة وافية، وبصدر رحب، وربما تكهن لصاحب الآراء ببعض الادلة التي لم تخطر حتى يخيل للقارئ كأنّها آراؤه، ثمّ يأخذ بمناقشتها.

وقد عرّف المؤلّف كتابه في مقدّمته، بقوله: وقد صنفنا كتباً متعددة في المختصرات والمطولات الجامعة لجميع النكات، وسأل الولد العزيز محمد أسعده الله تعالى في الدارين، وأيده بتحصيل الرئاستين، وتكميل القوتين، وجعلني الله فداه من جميع ما يخشاه، وحباه بكلّ ما يرجوه ويتمناه إنشاء كتابٍ جامعٍ لما ذكره المتقدمون، حاوٍ لما حصّله المتأخرون، مع زيادةٍ نفيسةٍ لم يسبقنا إليها الأولون.

٢ـ غاية الوصول وايضاح السبل في شرح مختصر منتهى السؤول والأمل في علمي الاصول والجدل.

إنّ هذا الكتاب هو شرح لكتاب (مختصر السؤل والأمل) لابن

الحاجب، ت: ٦٤٦هـ، حيث إنّ ابن الحاجب ألّف في اصول الفقه كتاب (منتهى السؤل والأمل في علمي الاصول والجدل)، ثمّ اختصره واطلق على المختصر اسم (مختصر السؤل والأمل).

وكان هذا الكتاب مداراً للتدريس لمدة قرون، وقد اعتنى العلماء بشرحه والتعليق عليه، وممن شرحه العلامة الحلي. وقد ذكر ابن حجر ٨٥٢هـ هذا الشرح عند ترجمته للعلامة، بقوله: «وشرحه على مختصر ابن الحاجب في غاية الحسن في حلّ ألفاظه وتقريب معانيه»[١١٤].

وهذا الكتاب وإنْ كان في واقعه شرح لمختصر ابن الحاجب، إلا أنّه في مواضع كثيرة سلك فيه مسلك المقارنة في البحث، منها على سبيل المثال لا الحصر: البحث عن عصمة النبي عليه السلام، والبحث عن حجّية اجماع المدينة، والبحث عن انعقاد الاجماع بأهل البيت عليهم السلام، في حدود حجّية خبر الواحد، وغيرها.

المطلب الرابع: المناظرات وعقد المجالس العلمية.

أهتم العلماء الكبار منذ زمن قديم بالمناظرات والمباحث التي تقارن بين رؤى المذاهب الاسلامية في مختلف المجالات من الفقه والاصول والكلام والتفسير والحديث، وقد التفتوا الى ضرورة مثل هذه البحوث لحصول التقريب بين المذاهب، وانجاز اهداف الشريعة الاسلامية من التعاون والوحدة.

وعندما نرجع الى العصور المتقدمة نجد أنّ هناك حوارات ومناظرات بين علماء المذاهب الاسلامية في جو هادئ ودي عار عن التصلب والعصبية بكامل الاحترام واهتموا بها وجعلوها طريقاً للوصول الى التقريب بين المذاهب الاسلامية، ومن الواضح أنّ دراسة الرؤى المختلفة يصير سبباً لحسن التفاهم والتقارب بين علماء المذاهب.

قال العلامة عند روايته عن استاذه الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الكيشي كما في إجازته لبني زهرة: «وهذا الشيخ كان من أفضل علماء الشافعية، وكان من أنصف الناس في البحث، كنتُ اقرأ عليه واورد عليه اعتراضات في بعض الأوقات، فيفكر ثمّ يجيب تارةً،

وتارةً أخرى يقول: حتى نفكر في هذا عاودني هذا السؤال، فأعاوده يوماً ويومين وثلاثة، فتارةً يجيب، وتارةً يقول: هذا عجزتُ عن جوابه»[١١٥].

لقد أهتم علماء الشيعة من المتقدمين والمتأخرين بمثل هذه المباحث تبعاً لأئمة اهل البيت عليهم السلام، وربما ساهموا في عقد مثل هذه المجالس، وشاركوا بجد واهتمام وحاوروا مع الآخرين في مختلف قضايا المقارنة من الفقه والاصول والكلام، فقد ساهموا من خلال تلك الجهود في تعزيز المنهج المقارن.

وقد كان للعلامة الحلي شهرة ومعروفية بين كبار علماء المذاهب الاسلامية لأجل مناظراته ومناقشاته العلمية، وله مناظرات مهمة، وكان ملتزماً بأنْ يراعي في مقام الجدال والمناقشات اموراً منها:

١- الالتزام بأنْ يعقد الحوار والمناظرة في جو هادئ على اساس نيات حسنة وحصول المفاهم عار عن العصبية و التصلب.

٢- احترام الرؤى ونظريات المذاهب والمناقشة بهدوء واحترام، وإذا واجه دليلاً قوياً يقبله.

٣- وفي مقام الحوار يذكر ادلة ومستندات مقبولة لمن يحاوره ويناظره، ولا يذكر ادلة ومستندات غير مقبول لدى الطرف الآخر.

ومن هنا استطاع أنْ يقع مورداً للقبول والاحترام من جانب الفقهاء والمتكلمين في ذلك العصر، وهذا لم يحصل إلا من جهة سلوكه واخلاقه وتعامله مع الآخرين سلوكاً حسناً، ولأجل ذلك نجد أنّ كباراً من علماء الاسلام يرحلون إليه من قريب أو بعيد ويحاوروه ويناظروه في مختلف القضايا العلمية من الفقه والكلام، وكان مجلسه محفلاً ساخناً للابحاث الفقهية والكلامية.

اضف الى ذلك أنّ العصر الذي عاش فيه العلامة الحلي قد شهد شيئاً من الازدهار والتقدم والاشراق من ناحية العلم والحضارة والثقافة، وقد تطور المجتمع الاسلامي في هذا العصر من جهات كثيرة، وقد ظهر في تلك الفترة علماء كبار من المذاهب الاسلامية.

وحاول في هذا العصر اتباع مختلف المذاهب الاسلامية الدفاع عن

رؤاهم ومعتقداتهم الدينية، وكتبت كتابات ورسائل مختلفة في تلك الحقبة الزمنية لايضاح أفكار مذهب معين، أو الدفاع عن رؤى ونظريات مذهب آخر.

وقد شعر علماء المذاهب الاسلامية أنّ ازدهار العلم يتحقق في احضان الفكر، والفكر يحتاج الى الحرية، ومن هنا باشر علماء المذاهب الاسلامية المباحثات والمناظرات بينهم، وفي ظل هذه الحوارات وصراعات الافكار تحققت ارضية مناسبة لتنمية الفكر والثقافة.

نعم، قد توجد صراعات هنا أو هناك بين ابناء المذاهب، لكنّ هذا المقدار من الصراعات يعتبر ضئيلاً بالنسبة الى حريات الفكر والمباحثات الحرة العلمية.

المطلب الخامس: الفقه المقارن.

الفقه المقارن يعني: «جمع الآراء الفقهية المختلفة وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلّتها وترجيح بعضها على بَعْض»[١١٦]، ويطلق عليه ايضاً الفقه الخلافي.

والهدف مِنْ الفقه الخلافي هو جمع آراء الفقهاء، وإقامة الأدلّة والبراهين والحجج التي تؤيِّد المذهب الذي ينتمي إليه الفقيه الباحث في الفقه الخلافي، وتقوّي رأيه الذي اعتمد عليهِ، فإنّ دراسة المسائل الفقهية مع الأخذ بعين الاعتبار المعطيات العلمية لآراء الفقه السنّي، له مردوداته الايجابية، فلأجل قرب الفقه الشيعي والسني من بعضهما، والخطوط المشتركة الكثيرة بينهما، فينبغي أنْ تكون هناك احاطة على وجه الدقة بوجهات نظر أهل السنة أيضاً في كلّ مسألة تبحث.

ويشترك الفقه الخلافي مَعَ الفقه الاستدلالي أو الفقه المذهبي في أنَّ كلاً منهما يعتمد عَلَى علم الأصول، إلا أنَّ الفقه الخلافي يعتمد على الأصول في تثبيته وتركيزه للمذهب المختار، وبالتالي عدم هدمها مِنْ قبل المخالف بأدلته، أمّا في الفقه الاستدلالي المذهبي فيعتمد على أصول الفقه لأجل استنباط الحكم الشرعي[١١٧].

وهذا اللون مِنْ البحث العلمي نشأ عند الفريقين السَّنة والشيعة منذ القرن الثَّانِي للهجرة[١١٨]، وكان متداولاً فِي تلك العصور، فكان

فقهاء الشيعة ـ في الماضي ـ يطرحون آراء فقهاء أهل السنة أيضاً ضمن طرح وجهات نظرهم الخاصّة، وينقدون أدلتهم بشكلٍ علمي، وإلى القرن السابع تقريباً كان نقل ودراسة فتاوى فقهاء أهل السنة أمراً شائعاً ومتعارفاً عليه بين علماء الشيعة، وكثيراً ما نصادف آراءهم في كتب الشيخ الطوسي، ت: ٤٦٠هـ، والعلامة الحلّي، ت: ٧٢٦هـ، وغيرهما، وربما كان الشيخ الطوسي أوّل فقيه ألّف بكفائة تامّة دورة كاملة من الفقه الخلافي تحت عنوان الخلاف، أهتم فيها بدراسة وجهات نظر فقهاء أهل السنة في جميع المجالات الفقهية، ولكنْ في القرون التالية، ومنذ القرن الثامن وما بعد، أخذ هذا اللون من البحث العلمي بالاضمحلال، وهُجرِ هذا الأسلوب تدريجياً، حيث لا يلاحظ في كتبنا الفقهية أثر لوجهات النظر الفقهية لأهل السنة، إلى أنْ أحيا أخيراً السيد البروجردي، ت:١٣٨٠هـ، سنّة الماضين وأولى الفقه الخلافي اهتماماً خاصّاً، فمن خلال معرفته الكاملة والشاملة في الفقه وآراء فقهاء أهل السنة استطاع أنْ يحدث نقلة نوعية في أمر الإستنباط ويخلق أسلوباً جديداً[١١٩].

وعلى أيّ حال أنَّ الفقه الخلافي عِنْدَ الشيعة هو «عبارة عَنْ مجموعة مِنْ المناظرات والمناقشات التي تنقض التشريعات الحادثة بعد وفاة الرسول (ص)، اعتماداً على أصول وقواعد معيّنة»[١٢٠].

وكانت أهم التشريعات التي كانت مثاراً للجدل والمناظرة والتماس الأدلّة والقواعد لأجل مناقشة ما استندت إليه هِيَ تلك التشريعات التي حدثت في القوانين المالية كإلغاء سهم المؤلّفة قلوبهم، وسهم ذوي القربى وَهُوَ الخمس، والقول بالعول والتعصيب في الميراث، والتشريعات المُتعلّقة بالأمور العبادية كإلغاء متعة الحجّ وَبَعْض فصول الاذان، ووضع وتشريع صلاة التراويح، والتشريعات المُتعلّقة بالمعاملات كاشتراط صحّة النكاح بحضور شاهدين وعدم اشتراط ذَلِكَ في الطلاق، وإلغاء نكاح المتعة، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ التشريعات التي هي محلّ خلاف بين المذهب الشيعي الإمامي وغيره مِنْ سائر

المذاهب الإسّلاميَّة الأُخرى.

وَقَدْ نقل لنا التأريخ الكثير مِنْ المناظرات الَّتِي تدور حول مسائل الفقه الخلافي والمباني التي تستند عَلَيْهَا تلك المسائل[١٢١]، وقد أُلّفت مصنّفات في هَذَا المجال[١٢٢].

والمهم هُوَ أنَّ هَذَا اللون مِنْ البحث يعتمد كثيراً على علم أصول الفقه، وَمِنْ هُنَا كَانَ الفقه الخلافي منطلقاً للبحث والتدقيق في علم الأصول، وبالتالي إسهامه في توسع وتطوّر علم الأصول، فإنّ التعرف على فقه أهل السنة، ودراسة وجهات نظرهم، والاطلاع على المباني الاصولية للآراء الفقهية، ومن ثمّ المقارنة والموازنة بينه وبين وجهات النظر الشيعية، يمكن أنْ يؤدي إلى نمو علم الاصول وتطوره.

وَمِنْ أمثلة وشواهد الفقه الخلافي ما نقله الشيخ الكليني[١٢٣]، ت: ٣٢٩هـ، عن الفضل بن شاذان ﵀ مِنْ جواب في مسألة الطلاق، حيثُ إنَّ السؤال المطروح هو أنَّ الشيعة يقولون بأنَّ مَنْ طلَّق لغير العدّة فطلاقه باطل، استناداً إلى قوله تعالى:{فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}[١٢٤]، بينما المطلقة لو خرجت مِنْ بيت زوجها في العدّة فطلاقها صحيح، في حين أنَّ القُرآن الكريم يقول:{لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ}[١٢٥]، فالآيتان مفادهما واحد، وَهُوَ تقييد الطلاق بالعدّة، وتقييده بالبقاء في بيت الزوج.

فَكَانَ جواب الفضل بن شاذان مبنياً على أنَّ هُنَاك فرقاً بين لسان الآيتين، فـ«إنَّ لسان الآية الاولى لسان إرشادي للحصّة الخاصّة، فيفيد عدم الإمضاء للطلاق في غَيْر تلك الحصّة، بينما لسان الآية الثانية هُو النهي المولوي، الذي لا يلزم مِنْ مخالفته الفساد الوضعي»[١٢٦].

فَهُنَاك فرق بين اللِّسَان الإرشادي واللِّسان المولوي، فالأوّل يقتضي البُطلان والفساد، بينما الثَّانِي يقتضي الحُرمة والمعصية[١٢٧].

إنّ التفاعل السلمي بين علماء المذاهب الاسلامية اوجد ارضية مناسبة للحوار والنقاش في مختلف المجالات العلمية من الفقه والكلام والاصول لذلك عقد كثير من علماء المذاهب الاسلامية مجالس الدرس والبحث في الفقه والكلام وشارك طلاب علوم الدين شيعة

وسنة في محاضرات علماء مذهب آخر، فنجد أنّ طلاب علوم الدين من الشيعة يشاركون في مجالس علماء أهل السنة، ويشارك طلاب علوم الدين من السنة في مجالس علماء الشيعة، وهذا كان امراً متعارفاً بين الفريقين، ويعتبر نموذجاً بارزاً من الوحدة والتقارب بين اتباع المذاهب الاسلامية.

وكان للعلامة الحلي مساهمة فاعلة في هذا المجال، ويشهد لذلك ما تركه من مؤلفات في هذا المجال، حيث كان يتمتع بقدرات خاصة في الفقه المقارن، فكان يوضح القضايا الفقهية والكلامية ببيانٍ رصينٍ، ويبرهن عليها ويناقش كي يصل الى الرأي الصحيح ويختار ما قام عليه الدليل، وقد استطاع من خلال ذلك أنْ يطور الفقه المقارن الى مرحلة عالية.

وفي هذا المجال نذكر مؤلفاته الفقهية في حقل الدراسات المقارنة، نظراً لارتباط موضوع دراستنا بها، وهي:

١- تذكرة الفقهاء.

٢- منتهى المطلب في تحقيق المذهب.

فقد تصدى في هذين الكتابين لبحث الفقه على ضوء منهج البحث المقارن، حيث قال في وصف كتابه المنتهى أنّه «لم يعمل مثله، ذكرنا فيه جميع مذاهب المسلمين في الفقه، ورجّحنا ما نعتقده بعد إبطال حجج مَنْ خالفنا فيه»[١٢٨].

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد هذا الشوط في الحديث عن اصول الفقه المقارن وجهود العلامة الحلي في التقريب بين المذاهب الاسلامية من خلال البحث والتحقيق في اصول الفقه المقارن أفرز البحث عدّة نتائج، ابرزها:

١ـ يعتبر الاختلاف في مسائل وقواعد اصول الفقه هو الاساس في جلّ الاختلافات في الفتاوى، ومن هنا تبرز أهمية البحث في اصول الفقه من زاوية مقارنة.

٢ـ إنّ فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية من المكونات الأساسية لأي مشروع إصلاحي ينشد التجديد الحضاري، والتمسك بالمصالح العليا والقيم والمقاصد العامة للشريعة والأمة الإسلامية.

٣ـ ينبغي أنْ لا يفهم من التقريب أو الوحدة الإسلامية هو جمع المسلمين تحت مذهب واحد، بل غاية الأمر هو تحديد الاصول الاسلامية المتفق عليها من جميع المذاهب، بغية التقريب بينها، واحترام كلّ فريق رأي الفريق الآخر في المسائل الفرعية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنْ يكون هذا الرأي مشفوعاً بالدليل العلمي.

٤ـ إنّ علماء الشيعة لهم جهود مهمة لها اثرها البارز في زرع وتنمية بذرة الفكر التقريبي بين المذاهب الاسلامية، حيث كان ولا يزال لعلماء الشيعة دور كبير في ترسيخ مفاهيم الوحدة الإسلامية.

٥ـ إنّ اساليب التواصل الفكري متعددة، ابرزها تبادل الرسائل، والحضور والتلمذ، المناظرات، الشرح والتعليق على مؤلفات الطرف الآخر، وغير ذلك.

هوامش البحث:

١- الفيروزآبادي، القاموس المُحيط، ٣/ ٣٢٨، باب اللام، فصل الهمزة. ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ١٦، مادة: اصل. الفيومي، المصباح المنير، ٢٤.

٢- محمد تقي الحكيم، الأُصول العامّة للفقه المقارَن، ٣٩. احمد البهادلي، مفتاح الاصول الى علم الاصول، ١/ ٢٧ ـ ٢٨.

٣ () الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤/ ٢٨٩، باب الهاء، فصل الفاء.

٤- الفيومي، المصباح المنير، ٣٩٠.

٥- الجرجاني، التعريفات، ١٣٨، العاملي، معالم الدين وملاذ المُجتهدين، ٣٣، ابوالقاسم القمي، القوانين المحكمة، ١/ ٣٦.

٦- محمد تقي الحكيم، الأُصول العامّة للفقه المُقارن، ٤٠.

٧- محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقه المقارن، ١٣.

٨- محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقه المقارن، ٤١.

٩- مير تقي الحسيني الكركاني، نبراس الاذهان في اصول الفقه المقارن، ١/ ٨٢.

١٠- محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقه المقارن، ٤٦.

١١- محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقه المقارن، ٤٦ ـ ٤٧.

١٢- انظر: محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقه المقارن، ٤٦ ـ ٤٧، مير تقي

الحسيني الكركاني، نبراس الاذهان في اصول الفقه المقارن، ١/ ٩٧، موسوعة اصول الفقه المقارن، ١/ ٣٤.

١٣- محمد اسحاق الفياض، النظرة الخاطفة في الاجتهاد، ٧١ ـ ٧٥.

١٤- الخلاصة، ١٠٩.

١٥- موسوعة طبقات الفقهاء،٨/ ٧٧.

١٦- الوافي بالوفيات، ١٣/ ٥٤، الدرر الكامنة، ٢/ ٧١.

١٧- أعيان الشيعة، ٩/ ١٦ ـ ١٧.

١٨- هو من أمراء دولة الديالمة، وهو غير سيف الدولة ابن حمدان الذي هو من جملة ملوك الشام. الخوانساري، روضات الجنات، ٢/ ٢٦٤.

١٩- معجم البلدان، ٣/ ١٧٦.

٢٠- أعيان الشيعة، ٩/ ١٤.

٢١- الخلاصة، ١١٣.

٢٢- ابن داود، الرجال، ٧٨.

٢٣- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ١٨٨.

٢٤- ابو الحسن علي بن الخازن الحائري، فقيه فاضل، من كبار تلامذة الشهيد الأوّل، واستاذ الشيخ احمد بن فهد الحلّي. عباس القمي، الكنى والالقاب، ١/ ٢٧٣.

٢٥- جعفر بحر العلوم، تحفة العالم، ١/ ١٨٣.

٢٦- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٥/ ٤٣.

٢٧- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٤.

٢٨- جعفر بحر العلوم، تحفة العالم، ١/ ١٨٣، نقلاً عن كشف اليقين.

٢٩- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٠.

٣٠- امل الامل، ٢/ ٣٤٥.

٣١- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٣.

٣٢- لؤلؤة البحرين، ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

٣٣- مجالس المؤمنين، ٢/ ٣٦٣، نقلاً عن تاريخ الحافظ الآبرو.

٣٤- امل الامل، ٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

٣٥- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٢.

٣٦- امل الامل، ٢/ ٨١.

٣٧- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٣ ـ ٦٤.

٣٨- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٤.

٣٩- انظر ترجمته: عباس القمي، الكنى والالقاب، ٣/ ١٠٠.

٤٠- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٦.

٤١- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٦.

٤٢- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٥.

٤٣- انظر ترجمته: عباس القمي، الكنى والالقاب، ٣/ ٢٤٩، موسوعة طبقات الفقهاء، ٨/ ١١٠ ـ ١١١، الترجمة: ٢٧٣٧.

٤٤- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٧.

٤٥- انظر ترجمته: عباس القمي، الكنى والالقاب، ٢/ ١١.

٤٦- انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/ ٥٩، الترجمة ٦٠٥٧، موسوعة طبقات الفقهاء، ٨/ ٩٨، الترجمة: ٢٧٢٦.

٤٧- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٧.

٤٨- محمد محسن الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ٣/ ٥٣.

٤٩- رياض العلماء، ١/ ٣٦٠.

٥٠- محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/ ١٧٧.

٥١- محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/ ١٧٧.

٥٢- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٢، محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/ ١٧٦.

٥٣- المجلسي، بحار الانوار، ١٠٤/ ١٤٣، وذكر الشيخ الطهراني أنّه كتبها في الحلة سنة ٧٠٩، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/ ١٧٨.

٥٤- المجلسي، بحار الانوار، ١٠٥/ ٢١. وقال العلامة الطهراني في الذريعة، ١/ ١٧٨ عند ذكره لهذه الاجازة أنّها ليس لها تاريخ.

٥٥- محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/ ١٧٧.

٥٦- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ١٤٢.

٥٧- محمد محسن الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/ ١٧٧.

٥٨- المصدر نفسه، ١/ ١٧٧.

٥٩- المصدر نفسه، ١/ ١٧٧.

٦٠- المصدر نفسه، ١/ ١٧٦.

٦١- المصدر نفسه، ١/ ١٧٧.

٦٢- المصدر نفسه، ١/ ١٧٧.

٦٣- حسن الصدر، تأسيس الشيعة، ٢٧٠.

٦٤- رياض العلماء ١/ ٣٦١.

٦٥- انظر تاريخ الحافظ الآبرو المعاصر للسلطان كما عنه في مجالس المؤمنين ٢/ ٣٦٠، الخوانساري، روضات الجنات ٢/ ٢٧٥، وغيرها.

٦٦- الوافي بالوفيات، ١٣/ ٨٥.

٦٧- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٥/ ٣٩٧، نقلاً عن مقدّمة شرح مبادئ الوصول للجرجاني.

٦٨- لسان الميزان، ٢/ ٣١٧.

٦٩- الدرر الكامنة، ٢/ ٧١..

٧٠- الفوائد الرضوية، ١٢٦.

٧١- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٢.

٧٢- أعيان الشيعة ٥/ ٣٩٦.

٧٣- التنكابني، قصص العلماء، ٣٥٩.

٧٤- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٦.

٧٥- تأسيس الشيعة، ٢٧٠.

٧٦- الدرر الكامنة، ٢/ ٧١.

٧٧- انظر مؤلفاته في مقدّمة تحقيق كتاب مختلف الشيعة، ١/ ٤٧ ـ ١٠٥.

٧٨- انظر تاريخ الحافظ الآبرو المعاصر للسلطان، كما عنه في مجالس المؤمنين ٢/ ٣٦٠. ومنتخب التواريخ للنطنزي كما عنه في اللئالي المنتظمة، ٧٠، وروضات الجنات ٢/ ٢٨٢، وغيرها.

٧٩- انظر ترجمته وقصة استشهاده

في شهداء الفضيلة، للعلامة الشيخ عبدالحسين الاميني، ٧٩ ـ ٩٣.

٨٠- انظر ترجمته وقصة استشهادهﷺ في شهداء الفضيلة، للعلامة عبدالحسين الاميني، ١٢١ ـ ١٢٩.

٨١- محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقه المقارن، ١٦.

٨٢- محمد بن سليمان التنكابني، قصص العلماء، ٦٩٠ ـ ٦٩١، عبدالله افندي، رياض العلماء، ٥/ ١٧٧.

٨٣- انظر ترجمته: احمد بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ١٠٥، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/ ٢٢٤.

٨٤- انظر ترجمته: احمد بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ١١٠، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/ ٥٣٣.

٨٥- انظر ترجمته: احمد بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ١١٢، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٧/ ٢٤٤.

٨٦- ذكر ذلك: احمد بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ١١٧، عبدالرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين، ٣٩٢.

٨٧- فلاحظ: عبدالله افندي، رياض العلماء، ٥/ ٥١٥، المجلسي، بحار الانوار، ١٠٤/ ١٣٦. ذكر العلامة الحلّي في اجازته الكبيرة الى علي بن زهرة بعض شيوخ الطوسيﷺ من العامّة.

٨٨- مجتبى العراقي، مقدّمة تحقيق (كتاب الخلاف) للشيخ الطوسي، ١/ ٨.

٨٩- انظر ترجمته: عبدالحسين الاميني، شهداء الفضيلة، ٧٩ ـ ٨٨، عباس القمي، الكنى والالقاب، ٢/ ٢٧٧ ـ ٣٨١.

٩٠- ابو الحسن علي بن الخازن الحائري، فقيه فاضل، من كبار تلامذة الشهيد الأوّل، واستاذ الشيخ احمد بن فهد الحلّي. عباس القمي، الكنى والالقاب، ١/ ٢٧٣.

٩١- المجلسي، بحار الانوار، ١٠٤/ ١٩٠.

٩٢- انظر ترجمته: الحر العاملي، امل الآمل، ١/ ٨٥ ـ ٩١، يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، ٢٨ ـ ٣٦، عبدالحسين الاميني، شهداء الفضيلة، ١٢١ ـ ١٣٢، عباس القمي، الكنى والالقاب، ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٦.

٩٣- الحر العاملي، امل الآمل، ١/ ٨٥، يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، ٣١، عبدالحسين الاميني، شهداء الفضيلة، ١٢٢.

٩٤- عباس القمي، الكنى والالقاب، ٢/ ٣٨٣.

٩٥- ابو عمرو عثمان بن عمر الفقيه المالكي، من كبار العلماء في الادب والفقه والاصول، له مؤلفات كثيرة، منها: الشافية في الصرف، والكافية في النحو، ومنتهى السؤل والأمل، وغيرها، توفي في الاسكندرية سنة ٦٤٦هـ. عباس القمي، الكنى والالقاب، ١/ ٢٥٤. موسوعة

طبقات الفقهاء، تأليف اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ٧/ ١٥٢.

٩٦- القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشافعي، له مؤلفات، منها: انوار التنزيل في التفسير، والمنهاج في أصول الفقه، وشرح المطالع في المنطق، وغيرها، توفي سنة: ٦٨٥هـ. انظر ترجمته في: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/ ١٥٢، الخوانساري، روضات الجنات، ٥/ ١٣٤، عباس القمي، الكنى والألقاب، ٢/ ١١٣.

٩٧- ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان، والذهبي نسبة الى صنعة الذهب المدقوق التي اتخذها مهنة له في اوّل أمره، له مصنفات كثيرة في الحديث، والعقائد، والفقه، والتاريخ والتراجم، وغيرها. كانت ولادته سنة ٦٧٣، وتوفي سنة ٧٤٨هـ. عباس القمي، الكنى والالقاب، ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

٩٨- احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الحنبلي، له فتاوى وعقائد بسببها حكم عليه الفقهاء بضلالته، وفساد عقيدته، فحبسه عامل مصر، فتوفي في محبس مراكش، سنة ٧٢٨هـ. عباس القمي، الكنى والالقاب، ١/ ٢٣٦.

٩٩- ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، شيخ أهل الحديث، له مصنفات مشهورة في الرجال والحديث والادب، منها: التقريب، والدرر الكامنة، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان، وغيرها، توفي سنة ٨٥٢هـ بالقاهرة. عباس القمي، الكنى والالقاب، ١/ ٢٦١.

١٠٠- اسماعيل بن عمر الدمشقي الفقيه الشافعي، كانت له خصوصية بابن تيمية، وتبعه في كثير من آرائه، اهتم بعلم الحديث والاصول وحفظ المتون والتواريخ، له مؤلفات منها: البداية والنهاية، وطبقات الشافعية، وتفسير القرآن، وغيرها، توفي سنة ٧٧٤هـ بدمشق. عباس القمي، الكنى والالقاب، ١/ ٣٩٣.

١٠١- ابو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الشافعي، صاحب كتاب (وفيات الاعيان) يشتمل على ٨٦٤ ترجمة، كان اديباً فاضلاً، كان مولده سنة ٦٠٨ بمدينة اربل، وتوفي سنة ٦٨١هـ بمدينة دمشق. عباس القمي، الكنى والالقاب، ١/ ٢٧٧ ـ ٢٨٠.

١٠٢- انظر ترجمته: موسوعة طبقات الفقهاء، ٨/ ٩٨، الترجمة: ٢٧٢٦.

١٠٣- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٤.

١٠٤- محمد مصطفوي، علم اصول الفقه وإشكالياته المنهجية، مجلة الحياة الطيبة، السنة الرابعة، شتاء ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م، العدد: ١٤/ ١٦٨.

١٠٥- المحقق الكركي، جامع المقاصد في

شرح القواعد، ١/ ٢٣٥.

١٠٦- عبدالله افندي، رياض العلماء، ١/ ٣٨٢.

١٠٧- المحقق الكركي، جامع المقاصد، ١/ ٢٣٦.

١٠٨- عبدالله افندي، رياض العلماء، ١/ ٣٨٣.

١٠٩- حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، ٣٢٢.

١١٠- مهدي علي بور، المدخل الى تأريخ علم الأصول، ١٣٥.

١١١- مهدي علي بور، المدخل الى تأريخ علم الأصول: ١٢٣.

١١٢-محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة للأصول، ٨٩.

١١٣-غنية النزوع الى علمي الأصول والفروع، ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

١١٤-الدرر الكامنة، ٢/ ٧١.

١١٥- المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٤/ ٦٦.

١١٦-محمد تقي الحكيم، الأصول العامّة للفقه المقارن، ١٣.

١١٧- ابن خلدون، المقدّمة، ٤٥٧.

١١٨- منير عدنان القطيفي، الرافد في علم الأصول، ـ تقرير بحث السيد علي السيستاني ـ ٧٢.

١١٩- المنهج الاجتهادي عند الامام البروجردي، حوار مع ثلاثة من الفقهاء (الشيخ لطف الله الصافي، الشيخ حسين النوري، الشيخ تجليل التبريزي)، مجلة الاجتهاد والتجديد، السنة السابعة، ربيع وصيف، ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣ م، العدد: ٢٦ ـ ٢٧/ ٤٠. مرتضى المطهري، الاجتهاد في الاسلام ـ مجموعة مؤلفاته ـ، ٧/ ١٢٤.

١٢٠-منير عدنان القطيفي، الرافد في علم الأصول، ـ تقرير بحث السيد علي السيستاني ـ، ٧٤.

١٢١-فلاحظ: الكليني، الكافي، ٦/ ٩٢ ـ ٩٦.

١٢٢-منها: كتاب الخلاف للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠ هـ.، وتذكرة الفقهاء للعلامة الحلّي، ت: ٧٢٦ هـ.

١٢٣-الفروع من الكافي، ٦/ ٩٣.

١٢٤-الطلاق:١.

١٢٥-الطلاق:١.

١٢٦-منير عدنان القطيفي، الرافد في علم الأصول، ـ تقرير بحث السيد السيستاني ـ ٧٧.

١٢٧- المشهور عند أهل السنة أنّ طلاق الحائض يوجب الإثم، مع وقوع الطلاق صحيحاً. قال الدكتور يوسف القرضاوي: «... ويحرم عليه أنْ يطلّقها في وقت الحيض، كما يحرم عليه أيضاً أنْ يطلّقها وهي طاهر بعد أنْ يكون قَدْ اتّصل بها...

ولكنْ هَلْ ينفذ الطلاق ويقع أم لا يقع؟، المشهور أنَّهُ يقع ويكون المطلق آثماً.

وقالت طائفة مِنْ الفقهاء: لا يقع؛ لأنَّهُ لم

يشرّعه الله تعالى البتّة، ولا أذن فيه فليس مِنْ شرعه، فكيف يُقَال بنفوذه وصحته؟».
الحلال والحرام في الإسلام، ٤١٢ ـ ٤١٤.
بينما عِنْدَ الشيعة الإمامية يشترط في صحّة الطلاق وقوع الطلاق في طهر لَمْ تحصل فيه مواقعة، فإذا وقع في أيام الحيض فَهُوَ باطل. فلاحظ: المحقق الحلّي، شرائع الاسلام، ٣/ ٥.
١٢٨- الخلاصة، ١٠٩.

ابرز المصادر والمراجع:

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت: ٦٨١هـ.
١- وفيات الأعيان، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـــ لبنان، ط١: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
أحمد البهادلي، الدكتور.
٢- مفتاح الوصول إلى علم الأصول، دار المؤرخ العربي، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، بيروت ـ لبنان.
أبو القاسم القمي، ت: ١٢٣١هـ.
٣- القوانين المحكمة في الأصول، شرح وتعليق: رضا حسين صبح، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٠هـ.
أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ت: ٧٧٠هـ.
٤- المصباح المنير، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، ط٣، مطبعة سرور.
أحمدبن علي بن حجر العسقلاني، ت:٨٥٢هـ.
٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
أحمد بن يحيى بن المرتضى، ت: ٨٤٠هـ.
٦- طبقات المعتزلة، دار المنتظر، ط٢: ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، بيروت ـ لبنان.
جعفر بن الحسن المحقق الحلّي، ت: ٦٧٦هـ.
٧- شرائع الإسلام، تحقيق: عبدالحسين محمد علي بقال، ط١، مطبعة: إسماعيليان ـ قم.
حيدر حب الله.
٨- مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
حسن الصدر، ت: ١٣٥٤هـ.
٩- تكملة أمل الآمل، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١: ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، تحقيق: د. حسين علي محفوظ، عبدالكريم الدباغ، عدنان الدباغ.
١٠- الشيعة وفنون الاسلام، تحقيق: السيد مرتضى المير سجادي، الناشر: مؤسسة السبطين عليهم السلام العالمية، المطبعة محمد، ايران ـ قم، ط١، ١٤٢٧هـ.ق ـ ١٣٨٥هـ.ش.
الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر العلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.
١١- خلاصة الاقوال، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر: نشر الفقاهة، ط٤،

١٤٣١هـ ق، ايران ـ قم.
عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، ت: ١٣٩٠هـ.
١٢- شهداء الفضيلة، تحقيق: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، بيروت ـ لبنان، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي.
عبدالله أفندي الأصبهاني، ت: ١١٣٠هـ.
١٣- رياض العلماء، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، النجف، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، قم ـ ١٤٠٣هـ.
علي بن محمد الجرجاني، ت: ٨١٦هـ.
١٤- التعريفات، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
عمر رضا كحالة.
١٥- معجم المؤلفين، دار احياء التراث، بيروت ـ لبنان.
محمد بن يعقوب الكليني، ثقة الإسلام، ت: ٣٢٩هـ.
١٦- الكافي، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، دار الاضواء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
محمدتقي الحكيم، العلامة.
١٧- الأصول العامّة للفقه المقارن، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط١: ١٩٦٣م، بيروت ـ لبنان.
مهدي علي بور.
١٨- المدخل الى تأريخ علم الاصول، المطبعة: اميران، الناشر: مركز المصطفى عليه السلام العالمي للترجمة والنشر، تعريب وتعليق: علي ظاهر، ط١، ١٤٣١هـ.
محمد باقر الصدر، المحقق، ت: ١٤٠٠هـ.
١٩- المعالم الجديدة للاصول، شريعت ـ قم، ١٤٢٩هـ، اعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر.
محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: ٨١٧هـ.
٢٠- القاموس المحيط، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، بيروت ـ لبنان.
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: ٧٤٨هـ.
٢١- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
٢٢- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
محمد صنقور علي.
٢٣- المعجم الأصولي، المطبعة عترت، الطبعة الثانية.
مير تقي الحسيني الكركاني.
٢٤- نبراس الاذهان في اصول الفقه المقارن، الناشر مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، الطبعة الاولى ١٤٣٥ هـ ق.
محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، ت: ١١١١هـ.
٢٥- بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، ط٣: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، بيروت ـ

لبنـان.
محمد بن سليمان التنكابني.
٢٦- قصـص العلـماء، المطبعـة: سـتارة، ايران ـ قـم، ط٢، ١٤٢٩هـ، النـاشر: ذوي القربى، ترجمـة: الشـيخ مالـك وهبـي.
نور الله المرعشي التستري، ت: ١٠١٩هـ.
٢٧- مجالـس المؤمنـين، تعريـب وتحقيـق: محمـد شـعاع فاخـر، المطبعـة: شريعـت، النـاشر: المكتبـة الحيدريـة.

Research Summary

The idea of bringing Islamic schools of thought together An essential component of any reform project It seeks civilizational renewal, Adherence to the supreme interests, values and general purposes of the Sharia and the Islamic nation, It should not be understood from the approximation or Islamic unity is to bring Muslims together under one sect, Rather, the aim of the matter is to determine the Islamic principles agreed upon from all sects. In order to bring them together, Respect for each other's opinion on the sub-issues. Taking into consideration that this opinion is accompanied by scientific evidence. One of the ways that it can be used to bring the Islamic schools of thought closer is the comparison method of research. This undoubtedly leads to the identification of resources for difference and participation, At the same time, it reveals Islamic intellectual consensus and common principles. It is clear that studying different visions becomes a reason for good understanding and rapprochement. Among the sciences that have a role in this field is the science of the principles of comparative jurisprudence. The purpose of the principles of comparative jurisprudence is to separate the opinions of the diligent by presenting the best and closest to the guide, In the sense of diagnosing the general evidence and rules that the jurists depend on in deriving the legal ruling, It is clear the importance of this process in bringing the views closer to the diagnosis of Sharia judgment. Reducing the difference in these evidences and rules requires reducing the circle of disagreement in the legal provisions, This is important in the area of rapprochement between Islamic schools of thought. And history tells us about exchanging hadith and research and investigation between them and a group of Sunni scholars are apprentices to the Shiites and vice versa in various fields of knowledge and Islamic sciences. Which was a factor in bringing together Islamic schools of thought. One of the pioneers of this epistemic field was the ornamental mark, T: ٧٢٦ AH, so he was one of the knights of this field. And he left us important writings in this field, as well as his other efforts in the field of debate, letters and discipleship. We have shed light on the origins of comparative jurisprudence and the efforts of the ornamental mark in this field of knowledge. In order to bring the Islamic schools of thought closer. The research on this topic was organized into three topics: First: Defining the topic of the research, which included two requirements, One of them is to clarify what is meant by the principles of comparative jurisprudence, and the method of research in it, And its subject, and the second in what is meant by the approximation of Islamic schools of thought. The second topic: On the biography of the mark, the ornaments. The third topic: The efforts of the scholarly scholar in bringing the Islamic schools of thought closer through cognitive communication in the field of the principles of comparative jurisprudence.

حولية المنبر